الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

النّوريات والزّهريات في الشعر الأندلسي في القرنين الرابع والخامس للهجرة

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث نظام (ل م د) في الآداب واللغة العربية
تخصص: أدب عربي قديم ونقده

إعداد الطالب:
عبد الرحمان قاسم

إشراف الأستاذة:
أ د/ حياة معاش

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أمحمد بن لخضر فورار	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	رئيسا
حياة معاش	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
رضا معرف	أستاذ محاضر (أ)	جامعة بسكرة	مناقشا
سميحة كلفالي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة بسكرة	مناقشا
بولرباح عثماني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأغواط	مناقشا
شلغوم نعيمة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الأغواط	مناقشا

السنة الجامعية: *2022/2021 م. **الموافق لـ:** 1444/1443ه.*

بسم الله الرحمن الرحيم

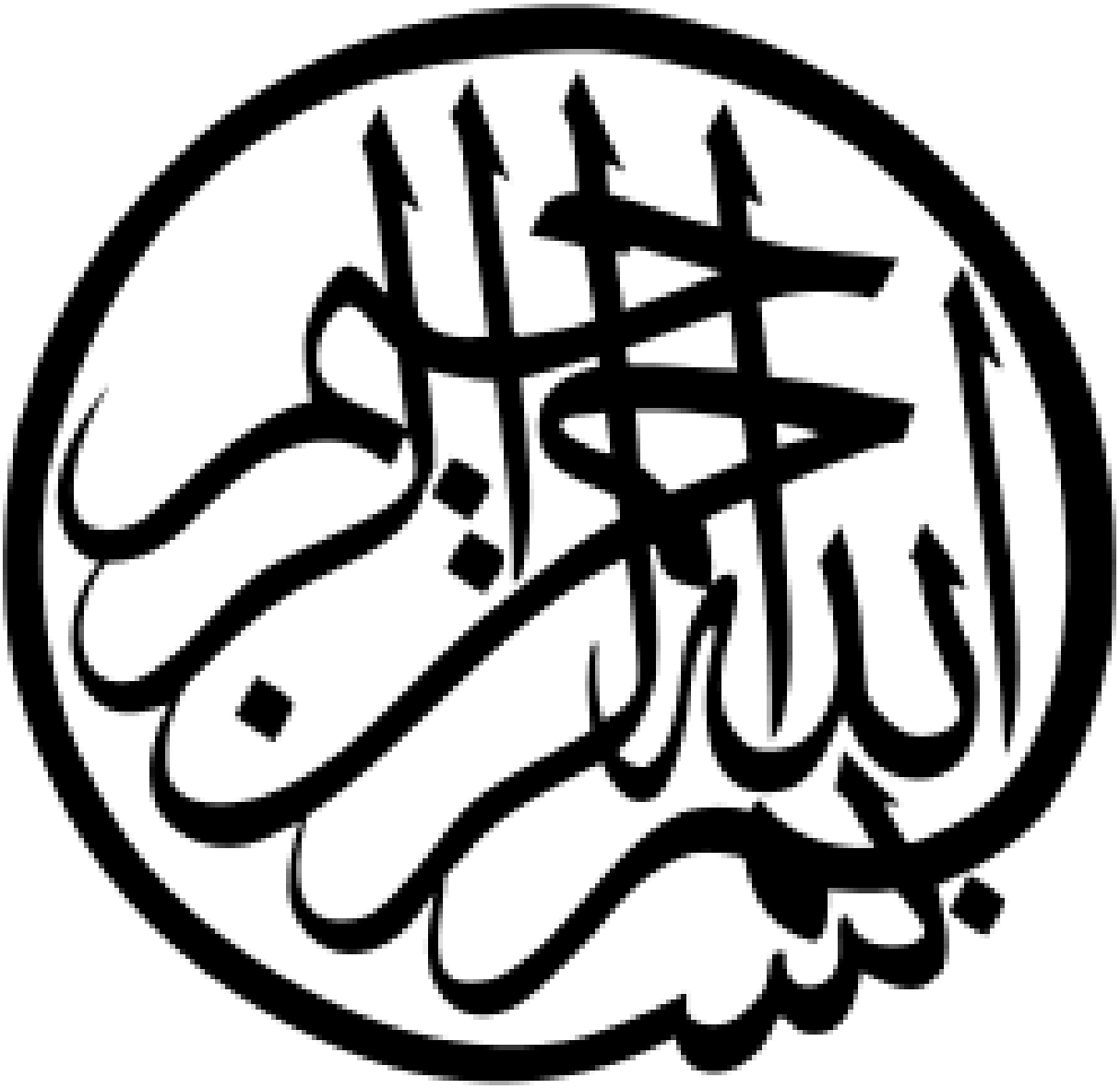

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذه الدراسة

إلى من ساندتني طوال حياتي أمي الغالية

إلى كل من علمني حرفا

إلى حامل لواء الأدب الأندلسي الأستاذ أمحمد بن لخضر

فورار

إلى جميع زملائي وزميلاتي الى شهداء الأندلس

إلى كل من يحمل بين أضلعه حنينا

إلى الأندلس الضائع

عبد الرحمان

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»

الحمد لله على توفيقه لإتمام هذه الدراسة وأن يتقبله خالصا لوجهه الكريم.

وأتوجه بجزيل الشكر وفائق التقدير والاحترام الى أستاذتي الفاضلة مشرفتي/ معاش حياة حفظها الله وأطال في عمرها، لتفضلها الكريم بالإشراف على هذا العمل وتكرمها بنصحي وتوجيهي حتى نهاية هذا البحث.

مقدمـــــة

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين؛ سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته الغرِّ الميامين...

اتخذت الزهور في شعر الطبيعة الأندلسي حيزا كبيرا ومكانة متميزة، فلا يكاد يخلو منها ديوان من داووين الشعراء ولقد درسها النقاد بما يسمى «النوريات والزهريات» مثل الروضيات وتعتبر من المواضيع التي يفضلها الشاعر الأندلسي ويبرع في وصفها، باعتبارها عنصرا جماليا، وظاهرة أسلوبية، وهذا الاهتمام الكبير والولع الشديد نابعان من عامل تأثير البيئة، فنسيم الأزاهير والنواوير يسري بين قصائدهم وفي مختلف الأغراض الشعرية، وبالإطلاع في الشعر الأندلسي سندرك أن الأندلسيين كان لهم تفردهم الخاص الذي أملته عليهم جملة من العوامل، ولعل أظهر تلك العوامل ما تفرضه طبيعة البيئة من سمات عامة يجتمع عليها جملة من الشعراء عبر أجيال مختلفة، وتثبت لهم تفردهم في ظاهرة شعرية بعينها.

ومن هذا المنطلق ارتأيت أن للشعراء الأندلسيين طابعهم الخاص في فنية القصيدة على مستويات عدة، ولا أدل على ذلك من الطبيعة الخلابة التي استأثرت بجملة نتاجهم الشعري على مر الحقب التاريخية، وقد كان لهم تأثير كبير وواضح على شعراء المشرق، ولم يلتفت أي باحث من الدارسين في حدود ما اطلعت عليه لدراسة أثر أعلام الشعر الأندلسي على شعراء المشرق على المستويات الفنية والموضوعية المختلفة.

وقد ذهب الدارسون أن شخصية الشاعر الأندلسي وشعريته بدأت تتشكل وتتكون خلال القرن الرابع، ثم تأخذ في التميز والنبوغ لتتفتق وتنضج في القرن الخامس فحركة التأليف في القرنين الرابع والخامس عرفت نشاطا يمكن أن يكون

أرضية للبحث والتنقيب فيه خاصة فيما تعلق بشعر «النّوريات والزّهريات»، الذي دأبنا على البحث عن خصائصة الفنية والموضوعية.

اجتمعت بعض الأسباب التي جعلتني أُقبِل على هذه الدراسة، أجملها في الأسباب الذاتية والموضوعية:

- **الموضوعية:**

* قلة الدراسات الأندلسية التي تهتم بشعر «النّوريات والزّهريات» – حسب علمي كدراسة مستقلة ومستفيضة.

* إهتمامنا بالأدب الأندلسي والميل إلى دراسته وتقصي الكتابات المتعلقة به.

* محاولتنا لمقاربة شعر «النّوريات والزّهريات» برؤية نقدية فنية متمثلة في استثمار آليات التحليل الفني والموضوعي، ثم تثمين جهود الباحثين الذين تناولوا بالتحقيق والدراسة لشعر «النّوريات والزّهريات» الاندلسي والإفادة منه.

- **الذاتية:**

* اهتمامنا بالتراث الأندلسي ودراسته خاصة في الشعر.

* الوقوف على تأصيل النّوريات والزّهريات في الشعر الأندلسي ومعرفة مدى حضورها في الأدب العربي القديم وما تضفيه للشعر الأندلسي في القرنين 4 و5 الهجرة، مما يجعله مادة خصبة تستحق الدراسة والاهتمام.

* مقاربة شعر النّوريات والزّهريات برؤية نقدية فنية متمثلة في استثمار آليات التحليلي الفني والموضوعي.

* تثمين جهود الباحثين الذي تناولوا بالتحقيق والدراسة للشعر الأندلسي عموما والنّوريات والزّهريات خصوصا.

الدراسات السابقة:

لقد تنوعت الدراسات في النصوص الشعرية الأندلسية ولعل الكثير من النقاد والباحثين التفوا إلى الأدب الأندلسي بصورة عامة. والشعر الأندلسي على وجه الخصوص، إلا أن شعر الطبيعة لم يأخذ حقه من الدراسات الوافية ويجدر بنا في هذا المقام، أن نذكر أهم الدراسات التي تناولت موضوع الطبيعة بشكل عام أو النّوريات بشكل خاص حتى نزيح الضبابية وتستطيع أن تنطلق من حيث توقف الآخرون.

وإيجاد طرق جديدة للدراسة شعر النّوريات والزّهريات فمن الدراسات السابقة: دراسة "الروضيات في الشعر الأندلسي في القرنين الرابع والخامس الهجريين" للباحث طاهر سيف غالب وهي عبارة عن كتاب من ثلاثة أجزاء، ودراسة عنوانها "النّوريات في الشعر الأندلسي" لمقداد رحيم ودراسة أخرى "شعر الطبيعة في الأدب الفاطمي والأيوبي" لبهاء حسب الله.

الإشكالية: إذا أردنا أن نضبط إشكالية لموضوعنا هذا فالبحث ينطلق من جملة من الإشكاليات المعرفية يسعى محاولا الإجابة عنها ولعل أكثرها إلحاحا:

ما هو شعر النّوريات والزّهريات؟ وعلى أي شكل قاله الشعراء؟ وهل استطاع أن يجد طريقه ومكانته في ظل التنوعات الشعرية الحاصلة أنذاك؟ وهل وفق الشاعر الأندلسي بوصفها ومحاكاتها جماليا فنيا؟ وكيف تمظهر ذلك في أشعارهم؟

ما هي أهم خصائصه ومميزاته؟ وماذا تمثل الطبيعة والنّوريات والزّهريات من مدلول فني شاعري بالنسبة للشاعر الأندلسي؟

وكيف أسهمت البنى التركيبة والدلالية والايقاعية في تكريس المعان الشعرية في هذا النوع من الشعر.

خطة البحث:

وقد قسمنا البحث باعتبار المقدمة والخاتمة إلى:

مدخل: تناولنا فيه النّوريات والزّهريات بين المفهوم والنشأة، ثم وصف النوريات وأصولها في الشعر العربي القديم والعباسي وتأثر الشعر الأندلسي به وبناء تجربتهم الخاصة بهم.

الفصل الأول: وتطرقنا فيه إلى الخصائص الموضوعية والفنية لشعر النَّوريات والزَّهريات، من خلال موضوعاتها ودلالتها في الوصف وتراسل الحواس وأهم الشعراء الذين نظموا فيها.

الفصل الثاني: تناولنا فيه القيم الإيحائية والدلالية في شعر النّوريات والزّهريات الأندلسي في القرن الرابع والخامس للهجرة، من خلال تعدد الدلالات مثلا دلالة النّوريات على وحدانية الله تعالى ثم دلالتها على الجمال الكوني ودلالتها على الحب والمرأة.

الفصل الثالث: تعرضنا فيه للجانب الفني والجمالي للنوريات والزهريات في القرنيين الرابع والخامس للهجرة وينقسم الى أربعة أقسام:

* القسم الأول: ويشمل الايقاع الشعري لما يحتله من مكانة الشعر كظاهرة إبداعية.

* القسم الثاني: اللغة والتي تعتبر النسيج المتكامل ويهدف هذا القسم للوقوف على الأساليب الفنية التي استعملها شعراء القرنيين الرابع والخامس للهجرة في عرض موضوعاتهم وبنائها.

* القسم الثالث: المعجم الشعري ويتمثل في دراسة شعراء القرنين الرابع والخامس للهجرة للألفاظ التي شاعت عندهم واستقوها من موروثهم الديني والفكري والثقافي والأدبي.

* القسم الرابع: ويتمثل في الصورة الشعرية وكيف صور الشاعر الأندلسي النوريات والزهريات في شعره وتطرقنا الى تعريف الصورة الشعرية وذكر أقسامها وأنماطها.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على جملة من المصادر والمراجع أهمها:

- البديع في وصف الربيع للحميري.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام.
- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، مصطفى الشكعة.
- النوريات في الشعر الأندلسي مقداد رحيم.
- ديوان ابن زيدون.
- ديوان ابن عبد ربه الأندلسي.

الرسائل الجامعية:

- وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي في عصر الخلافة، رسالة ماجستير نادية صالح راشد.
- صور الزّهريات في شعر الصنوبري، دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير، عزيز وفاء.

منهج الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة أن نتبع المنهج التاريخي الذي يفرض نفسه في مختلف مراحل الدراسة بعلاقة النصوص بالمؤشرات الداخلية سواء على مستوى الشاعر أو على مستوى بيئته الخارجية السياسية والعلمية والبيئة الطبيعية مع الإفادة من بعض المناهج الأخرى مثل المنهج الوصفي التحليلي والذي يعنى بوصف الظاهرة والوقوف عليها.

الصعوبات:

– قلة الدواوين المحققة للشعراء الأندلسيين فالكثير منهم مغمور شعره مشتت بين الموسوعات وأمهات الكتب.

– صعوبة التعامل مع البحث والتقصي في المصادر والموسوعات وأمهات الكتب مثل نفح الطيب، والذخيرة والتكملة...

وفي الأخير فإن صعوبات البحث لم تقلل من عزيمتنا وهمتنا في إنجاز هذا العمل، والذي لم يكن ليستوي على سوقه لولا مساعدة المشرفة **الأستاذة الدكتورة: معاش حياة،** ومساعدة **الأستاذ الكتور: محمد بن لخضر فورار**، فلهما كل الشكر والامتنان.

مـدخل:

النّوريات والزّهريات المفهوم والنشأة

1- مفهوم النّوريات الزهريات

2- وصف النوريات والزهريات في الشعر القديم

3- وصف النوريات والزهريات في الشعر الأندلسي

4- خصوصية التجربة الشعرية في النَّوريات والزهريات في الشعر الأندلسي

أولا- مفهوم النّوريات الزهريات:

النّوريات والزّهريات من الموضوعات التي حظيت بعناية شعراء الأندلس، فدخلت في معظم موضوعاتهم الشعرية من (غزل-مدح-عتاب) فوصفوا أنواعها وألوانها.

1-لـــغة:

النور: بفتح النون حسن النبات وطوله، وجمعه نورة. ونورت الشجرة وأنارت أيضا أي أخرجت نورها. وأنار النبت وأنور: ظهر وحسن، والأنوار: الظاهر الحسن؛ ومنه صفته، صلى الله عليه وسلم: كان أنور المتجرد[1]

قال أبو حنيفة «أزهر النبت بالألف إذا نوّر وظهر زهره، وزَهُرَ بغير ألف، إذا حسن، وأزهار النبت: كأزهرة قال ابن سيدة وجعله ابن جني رباعيا، وشجرة مزهرة ونبات مزهر»، ويقول **ابن الاعرابي**: « النور الأبيض والزهر الأصفر، وذلك لأنه يبيض ثم يصفر والجمع أزهار، وأزاهير جمع الجمع»[2].

ومن ذلك ما ورد في كلام ابن **حمديس**[3]:

اشرب على بركة نَيْلُوْفَرٍ مُحْمرّةِ النّوّارِ خضراءِ

كأنما أزهارُهَا أخرجـــتْ ألسنةَ النارِ من الماءِ

1- ينظر: ابن منظور. لسان العرب. تحقيق. عبد الله علي الكبير. وأحمد حسب الله. وهاشم محمد الشاذلي. دار المعارف. القاهرة. مصر.ج5 ص244 .

2- ابن سيدة. المحكم والمحيط الاعظم. تحقيق عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 2000، ج 4 ص 164.

3- ابن حمديس الصقلي. الديوان. تصحيح وتقديم إحسان عباس. دار صادر. بيروت. لبنان. ط1. دت. ص 50.

ومما سبق يتبين أن لفظ النور بفتح النون عام يطلق على سائر الأزهار، حتى على الأزهار التي تكون في النباتات المختلفة، والتي يعقبها الثمار، وتارة يتغنى بها الشعراء دون تحديد لنوع معين، وإنما يقصد منها عموم الإشراق والبهجة الحاصلة من النظر إليها بغض النظر عن النوع الذي تنتسب إليه.

2-اصطلاحا:

تعتبر النّوريات والزّهريات من أبرز عناصر الطبيعة فقد هام بها الشعراء وأثارت تأملاتهم وفتحت لهم آفاقا رحبا للخروج بقصائد مبتكرة تبتعد عن النمط التقليدي.

أما النوريات اصطلاحاً « فقصدنا بها ما يُنتج فى النهاية ثمراً أو حبوباً أو بذوراً، سواء أكان شجراً كنور اللوز ونور الرمان، أم نباتاً كنور الباقلاء والكتان، وذلك بالرغم من تداخل المسميات ودلالاتها بين الزهريات والنوريات» [1]

في دراسة **مقداد رحيم** الموضوعية والتاريخية النوريات في الشعر الأندلسي» هي أن يخصص الشاعر مقطعة أو قصيدة يصف نورة واحدة أو أكثر من النواوير دون سواها وتسمى تلك المقطعة أو القصيدة "نورية" نسبة إلي النور والنور والزهر شيء واحد ولك فإن النوريات هي الزهريات أيضا، على أن لا يكون الوصف في المقطعة أو القصيدة جزءا من أوصاف أخرى بل هو مشروط بوحدة الغرض» [2].

ولا يخفى على دارسي الأدب ما للطبيعة من آثار على الظاهرة الشعرية، ذلك أن التأثر بالبيئة المحيطة، والواقع المعاش، والحالة النفسية التي يمر بها الشاعر، حزنا أو فرحا، ألما أو لذة، إلى غير ذلك من العواطف المختلفة التي يمر بها الشاعر،

1- عمار عبد القادر محمد شلبى. الزهريات والنوريات في الأدب الأندلسي. دراسة وصفية. المجلد 9. العدد 30 30 سبتمبر 2018. أمارياك. ص 68.

2- مقداد رحيم، النوريات في الشعر الأندلسي. عالم الكتب. بيروت. لبنان. ط1، 1986. ص 07.

هذا بعينه هو التجربة الشعرية التي تستدعي الدراسة، وتستلزم الوقوف أمامها بالبحث العميق.

وللطبيعة دور هام ومؤثر في التجربة الشعرية، التي يقدمها الشاعر، حيث نراها واضحة ومؤثرة في الصور التي يستخدمها، في إيصال المعاني، حيث يعمد الشاعر على « بث الحياة في الجوامد بطرق التشبيه والاستعارة والتمثيل في شكل صورة بصرية» [1].

ولهذا كانت الطبيعة وما تحويه بصفة عامة المنهل الأول لإثراء خيال الشاعر، بما تقدمه من جمال وما تبثه من تجسيم وتشخيص يسهم في بلورة التشبيهات ورسم الصور، مما يجعل القصيدة الشعرية عبارة عن مرآة شفافة تعكس آثار الطبيعة حولها، وهذا الأمر لم يكن بدعًا لأي شاعر، فمنذ العصر الجاهلي نلمح في أغلب القصائد روح التغني بمحاسن الكون، والتشبيب بجمال الطبيعة، وسريان المقارنات الحية بين الحبيبة في جمالها والروضة في بهائها ونضرتها، وكذا أوصاف البرق والمطر والليل والنهار والغدير والشجر والطير والحيوان، وقد برع في هذا الجانب عدد غير قليل من الشعراء، في مقدمتهم **الأعشى وامرؤ القيس وأوس بن حجر وعنترة والنابغة**، وكذا من الإسلاميين في العصر الأموي نجد أن **كثير عزة وعمر بن أبي ربيعة وقيس بن** الملوح قد أبدعوا في استحضار صور مختلفة من الطبيعة والتمثل بها في أشعارهم الغزلية[2].

1- يوسف حسن نوفل. الصورة الشعرية والرمز اللوني. دار المعارف- مصر. د.ت. ص13.

2- ينظر: محمد اليعلاوي. شعر الطبيعة في الأدب العربي القديم. حوليات الجامعة التونسية. جامعة منوبة- كلية الآداب والفنون والإنسانيات. عدد23. 1984م. ص07.

فهذا اللون من الشعر ليس حكرا على الأندلسيين، بل هو قديم قدم الأدب العربي، ولا نبالغ إذا قلنا أنه قديم قدم الشعر العربي ذاته، فجميع المراحل التي مر بها الأدب العربي، تحفل بهذا الغرض، بوصف الطبيعة بداية من العصر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي وصولاً إلى العصر الحديث والمعاصر.

ولا شك أن الأندلس تتميز بطبيعة خلابة زاخرة بالجمال الآسر الذي يأخذ القلوب، ويشرح الصدور، للدرجة التي يصف فيها أحد الشعراء جمال الأندلس، واللذة التي يحدثها جمالها في النفوس بأبيات جميلة يقول فيها ابن خفاجة [1]:

يَأَهـلَ أَندَلُـــــسٍ لِلَّهِ دَرُّكُـــــمُ ماءٌ وَظِـلٌّ وَأَنهـارٌ وَأَشجـارُ

ما جَنَّةُ الخـُلدِ إِلّا فـــي دِيارِكُـمُ وهذه كنت لَو خُيِّرتُ أَختـــارُ

لاتَتقوا بَعدَها أَن تَدخُلوا سَقـــراً فَلَيسَ تُدخَلُ بَعدَ الجَنَّةِ النارُ

وشعر الطبيعة هو شعر يجعل من الطبيعة الحية كالأودية والأنهار؛ أو الطبيعة الصامتة كالجبال والصحارى؛ موضوعًا له، وقد تطور شعر الطبيعة عند شعراء الأندلس أكثر منه عند المشارقة، وذلك لما حبا الله به بلاد الأندلس من مناظر خلابة، فهذا يجعلنا نحكم على شعر الطبيعة بصورة عامة أنه قرين ظهور الشعر العربي، فلم يكن وليد لحظة أو عصر بعينه، فإن الدراسات عن هذا الجانب من الشعر الجاهلي كثيرة وتنبه إليها النقاد قديمًا.

-أنواع النواوير مفهومها ودلالاتها:

تعددت النّوريات والزّهريات بمختلف أشكالها وألوانها ومسمياتها فنذكر أهم الأنواع التي نظم فيها الشاعر الأندلسي خلال القرنين الرابع والخامس الهجري.

1- ابن خفاجة، الديوان. تح: السيد مصطفى غازي. منشأة المعارف. الإسكندرية. مصر. ط1. 1960، ص 364.

الآس: هو شجر دائم الخضرة أبيض الورق أبيض الزهر أو وردي عطري وثماره لبيه سوداء.

الياسمين: نبات عشبي معمر أو شجري موطنه الأصلي الهند وجنوب شرق آسيا، يتكاثر بالعلقة الخشبي ثم ينقل إلى الأرض المستديمة، يدخل فى أفخر أنواع الروائح العطرية والياسمين يتبع العائلة الزيتونية[1].

البهار: هو نبات طيب الرائحة ذو نوار أبيض وسطه أصفر له أنواع منها بهار الصباغين، بهار حلقي، بهار نبيل[2].

البنفسج: البنفسج هو نوع من الرياحين عطر الرائحة وهو نبات من الفصيلة البنفسجية من ذوات الفلقتين الكثيرة التويجات يزرع للزينة ولأزهاره[3].

الخيرى: هو نبات زهري من فصيلة النرجسيات وأشهر أنواعه الخيري الأصفر أو الخيري النمام لأنه ينم بريحه عن نفسه[4].

النرجس الأصفر: النرجس هو نبات من الإبصال، يزهر في الربيع طيب الرائحة من فصيلة النرجسيات له أنواع عديدة منها النرجس الأخضر، النرجس الأصفر، نرجس الأمزون، نرجس شرقي، نرجس برى وغيره[5].

الورد: الورد هو نبات جميل يطلق على النبات وزهره، ومنه البرى ومنه المزروع، زرعه الصينيون منذ 5000 سنة لجماله ويوجد بمئات السلالات والأنواع، فمنه

1- ينظر: سامر عبد الغنى كعكى، موسوعة المصطلحات العلمية الشاملة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2004 ، ص 215.

2- ينظر: فؤاد أفرام البستانى، الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة في علوم الطبيعة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ط، 1965، ص181.

3- محمد عبد الرحيم، موسوعة الأعشاب والنباتات الطبية، دار الراتب الجامعية، ط1، 2001، المعجم المصور لأسماء النباتات، الجزء 6، ص 168

4- ينظر: فؤاد أفرام البستانى، الموسوعة العربية الميسرة. ص 385 – 167.

5- فؤاد أفرام البستانى، الموسوعة العربية الميسرة، ص 522.

الصغير والكبير أو المتسلق وله ألوان عدة، الأبيض والأحمر والوردي، وهو يتكاثر بالعلقة في فبراير ويبدأ بالإزهار في منتصف شهر ماي(1).

ثانيا: وصف النّوريات والزّهريات في الشعر القديم وفي المشرق:

ارتبط وصف النوريات والزهريات بوصف الطبيعة في المجتمع الجاهلي وإن كانت تختلف عن طبيعة الأندلس اختلافا جذريا، فالأولى طبيعة صحارى وجبال ووديان وصخور، والثانية طبيعة أشجار وأنهار وزهور، وشتان بينهما، إلا أن كلا منهما كان له الأثر الواضح الذي لا يمكن إنكاره، في نفوس الشعراء، فالشاعر في الأصل لا يصدر ولا يرد في شعره إلا عن الطبيعة التي يعيشها.

وقد أكثر شعراء الجاهلية من التغني بالطبيعة في أشعارهم، والاستمداد منها في تراكيبهم، وأخيلتهم، بما فيها من جبال ووديان وفيافي، وأمطار وأشجار ورياح، وأبدعوا في وصف حيوانات كالخيل والإبل والحمر الوحشية والظباء، فكثيرا ما تم وصف الحبيبة بأنها ظبية أو مهاة، لوجه الشبه في جمال العيون الآسرة للألباب.
فمن ذلك ما قاله **الأعشى** من [الخفيف] [2]:

مِـن دِيارٍ بِالهَضبِ هَضبِ القَليـبِ فاضَ ماءُ الشُؤونِ فَيضَ الغُـروبِ
أَخـــــلَفَتني بِـــهِ قُتَيلَةُ مـــــيعـا دي وَكانَت لِلوَعدِ غَيرَ كـــــــذوبِ
ظَبيَةٌ مــنِ ظِباءِ بَطنِ خُســـافٍ أُمُّ طِفلٍ بِالجَوِّ غَـــــيرِ رَبـــــــيبِ
كُنتُ أَوصَيتُها بِأَن لا تـــُطيـعي فيَّ قَولَ الوُشاةِ وَالتـــــــــــَخَبيبِ
وَفَلاةٍ كَأَنَّها ظَهرُ تُـــــــــــرسٍ قَـــــد تَـجاوَزتُها بِحَرفٍ نَـــعوبِ

1- ينظر: كعكى، سامر عبد الغنى، موسوعة المصطلحات العلمية الشاملة، ص 195.
2- الأعشى الكبير، الديوان. ميمون بن قيس، تح: محمد أحمد قاسم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص333.

عِـــــرمِسٍ[1] بازِلٍ تَـخَيَّلُ بِالــرِد ... فِ عَسوفٍ مِثلِ الهِجانِ السَـــيوبِ
تَـــــضبُطُ المَوكِبَ الرَفيعَ بِأَيـدٍ ... وَسَنامٍ مـــــُصَعَّدٍ مَـــــــــكثوبِ
قاصِـــدٌ وَجهُها تَزورُ بَني الحا ... رِثِ أَهـــــلَ الغِناءِ عِندَ الشُـــروبِ
الرَفيئينَ بِالجِوارِ فَـــــــما يُغ ... تالُ جـــارٌ لَهُم بِظَهرِ المَـــــغيبِ
وَهُم يُطعِمونَ إِذ قَحَطَ الـــــقَط ... رُ وَهَـــبَّت بِشَمأَلٍ وَضَـــــــريبِ

ففي هذا النص يصف **الأعشى** محبوبته، وتدعى قُتَيْلة، بأنها ظبية، بجامع الجمال والخفة واتساع العيون، وهو أمر مستملح، ثم يستخدم في تعبيراته الماء والغروب، ويصف الفلاة الواسعة بأنها ظهر ترس، وقد جاوزها بناقته السريعة العدو.

ويعد من أبرز شعراء الجاهلية الذين استخدموا وصف الطبيعة في أشعاره:

امرؤ القيس، فقد نشأ في كنف الصحراء ورضع لبانها، وقضى فيها أكثر أيام عمره، فشعره على وجه العموم يمتلئ بوصف الطبيعة التي كان يعيش وفيها ومنها قول امرؤ القيس([2]):

وألقى بصحراء الغبيط بعاعه ... نزول اليماني، ذي العياب المحمل

وعموما فشعراء الجاهلية يوظفون الطبيعة، ويجسدون مظاهرها في شعرهم، وهم يستلهمونها فتارة يصفون النساء بالظباء والمها، ويشبهون الخيل بالعقبان، ويشبهون الإبل التي تقطع الصحراء بالسفن في البحر.

1- العِرْمِسُ: الصخرة. والعِرْمِسُ: الناقة الشديدة. قال الأصمعي: شُبِّهَتْ بالصخرة. الصحاح مادة (عرمس)

2 امرؤ القيس، الديوان، دار المعارف، مثر، ط2، 2004. ص 158.

ثالثا: وصف النوريات والزهريات في العصر العباسي:

تطورت نظرة الشاعر العربي إلى الطبيعة في العصرين الأموي والعباسي، نظرا لاختلاف الثقافات والبيئات، فقد فتح الله لهم آفاقًا جديدة لم يروها من قبل، بسبب اتساع الفتوحات الإسلامية، مما أتاح لهم الاختلاط بمجتمعات وبيئات، تختلف عن طبيعة البيئة البدوية التي كانوا يعيشونها، وفتح أعينهم ومخيلاتهم على صور للطبيعة تجلت في شعرهم ونثرهم، وهذا كان كفيلا بازدهار شعر الطبيعة وخصوصا الزهريات، لذا آثرت أن أذكر بعض الشواهد التي ليتضح لنا مدى إلمام الشعراء في العصر العباسي بفن الزهريات واهتمامهم به، فمن أبرز الشعراء العباسيين في وصف الطبيعة **أبو بكر الصنوبري**[1] وله ديوان يسمى بالروضيات، فيقول في إحدى قصائده { الخفيف}:

وجنةٌ لو تقاسُ بالوردِ صِبْغًا ونسيمًا ما أُنْصِفَت في القياس
وثنايا تُنسِي الأقاحيَّ في رقّ ةِ الأقاحِيْ مَن كان ليسَ بناس
ليس ينفكُّ لابسًا كلَّ يومٍ زيَّ حالٍ من الملاحةِ كاسي
يتبدَّى من رَاحتَيْهِ بكاسٍ وَيُثنِّي منْ مُقلتيه بكاس

ومن نماذج الزهريات **للصنوبري** أيضًا قوله: [2]

قمْ تأمَّل هذي الربى لابساتٍ فلباسُ الربى أجلُّ لباس
نبَّهَ القَطْرُ أعْيُنَ النرجسِ الغَ ضِ وما كان نومُها منْ نُعاس
وخدودُ الشقيقِ تلطِمُها أي دي الصَّبا لطمَ ليِّنِ القلبِ قاس

1- الصنوبري. الديوان. تحقيق إحسان عباس. دار صادر. بيروت، ط1. 1970. ص 68.
2- الصنوبري. الديوان. ص 69.

فنلاحظ استخدام فن الزهريات في التشبيه، فيشبه وجْنتي محبوبه في الحمرة بالورد، ويشبّه ثناياه بزهرة الأقحوان.

فقد ضمن المقطوعة السابقة أصنافا عديدة من الزهريات، فذكر الورد والأقاحي، والنرجس وشقائق النعمان، ولمح إلى تنوع ألوانها من خلال الإشارة إلى المعصفر والمزعفر، وما كل هذا إلا لوحة فنية جميلة أبدع في رسمها، وأسهب في وصفها.

وكان للشعراء العباسيين إبداعهم الخاص في وصف الأشجار والثمار؛ حيث ضمنوها أشعارهم بصورة مسهبة؛ لدرجة أنهم اتخذوها مقدمات لقصائدهم مستبدلين إياها بوصف الأطلال، والذي كان سائدا في العصر الجاهلي، وقد تغنوا بشتى أنواع الأزهار.

ومن تلك النماذج أيضًا قول **ابن الرومي**[1]{البحر الخفيف}:

وغــزالٍ تــرى على وَجْنتيــهِ قَطْرَ سَهْمَيْهِ مــن دماء القلوبِ
لهفَ نفسي لتلك من وَجَنَاتٍ وردُهــا وردُ شارقٍ مَــهْضوبِ
أنهلَتْ صِبْغَ نفسها ثم عُلَّتْ من دماءِ القتلى بــغير ذنـوبِ
بل أتى ما أتى إليهمْ من الأم ر بوِترٍ لديهــــــمُ مــطلوبِ
جرحتْهُ العيونُ فاقتصَّ مــنها بجوىً في القلوب دامي النُّدوب
لم يُعادِلْهُ في كمالِ المــعاني توأمُ الحُسنِ من بني يــعقوبِ

وكذلك قول **البحتري**[2] {الكامل} :

أَخَذَت ظُهورُ الصالِحِيَّةِ زيــــنَةً عَجَبًا مِنَ الصَفراءِ وَالحَــــمراءِ
نَسَجَ الرَبيعُ لِرَبعِها ديــــباجَةً مِن جَوهَرِ الأَنوارِ بِالأَنــــواءِ

1- ابن الرومي،عَليّ بن العَبَّاس. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام. تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003 م، (6/ 781).

2- البحتري، الديوان، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط3، 2009، ص 6.

بَكَتِ السَماءُ بِها رَذاذَ دُمـــوعِها فَغَدَت تَبَسَّمُ عَن نُجومِ سَـــماءِ

في حُلَّةٍ خَضراءَ نَمنَمَ وَشـــيَها حَوكُ الرَبيعِ وَحُلَّةٍ صَـــــفراءِ

فَاِشرَب عَلى زَهرِ الرِياضِ يَشوبُهُ زَهرُ الخُدودِ وَزَهرَةُ الصَـــــهباءِ

مِن قَهوَةٍ تُنسي الهُمومَ وَتَبعَثُ ال شَوقَ الَّذي قَد ضَلَّ في الأَحشاءِ

في هذه الأبيات يصف الشاعر البحتري الرياض، ومافيها من جمال وألوان بعد أن تحلت بالوشي والسندس، فأقامها الربيع من جواهرالأنوار والأزهار، لوحة زاخرة بألوان خضراء وصفراء، حتى غدا زهر الربيع الأحمر كلون الخدود، وفي ذلك مبعث الجمال الإلهي وفي نفس السياق يصف **كشاجم**[1]{الكامل}:

يا طِيْبَ يَومِ خَلاَعَةٍ وَبَـــــطالَةٍ قَـــصَّرْتُهِ بِـــتَمَتُّعْ وَلَـــــــذَاذَةِ

فِي رَوْضَةٍ جُلِيَتْ عَلَى أَبْـصارِنَا فيما اكْتَسَتْهُ من الحُلِيّ الـــنّابِتِ

والغيثُ يَبْكي في خِلالِ نـــبَاتِها والبَرْقُ يَضْحَكُ منه ضِحْكَ الشّامِتِ

والوَرْدُ كالوَجَنَاتِ والأَنْفَاسِ مـــنْ ظِبْيٍ غَرِيرٍ عنْد صـــبٍّ بـــــــائِتِ

وتَعلُّقُ الأُتْرُجُّ في أغْـــــصانِهِ مِـــــثْلَ النُّهودِ قد اتَّكَتْ أَوْ كَادَتِ

وفيه توظيف واضح للطبيعة بكل ما تحمله من عناصر، واستدعاء لصورة الروض والغيث، واستخدام الورد في تشبيه الوجنات المحمرَّة به، وتشبيه النهود البارزة بالأترج، وأنغام الطيور، التي تملأ الأسماع وقت الضحى، وهو في هذه الصورة يصف حالة انتابته من الانتشاء والسرور، وقد أحسن في توظيف الطبيعة لإيصال هذا المعنى.

1- كشاجم، الديوان، دراسة وشرح وتحقيق. النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1999، ص 59.

رابعا: تأثر شعراء الأندلس بالشعراء العباسيين:

إن الباحث في شعر الطبيعة عند الأندلسيين يدرك الصلة الوثيقة بين شعر الطبيعة عند العباسيين والأندلسيين، فشعراء الأندلس لم يحاولوا الثورة على الأوضاع والأنماط العباسية، بل كانوا في غالب الأمر يقلدون العباسيين ويحاكونهم، دون أن يفكر أي منهم في الخروج على هذا التقليد وتلك المحاكاة.

«لم يحدث شعراء الأندلس مذهبًا فنيًّا جديدًا في الشعر العربي، بل جمدوا غالبًا عند التقليد والصَّوغ على نماذج المشارقة، ورغم الترف الذي عاشت فيه الأندلس، والذي أحدث عندها اهتمامًا بشعر الطبيعة، كما أحدث عندها نهضة واسعة في الغناء وما يطوي من الموشحات والأزجال؛ فإن هذا اقتصر على الشكل، مثل تخلصهم من التقيد بالوزن أو القافية الواحدة، وهو التجديد الشكلي الذي اضطرتهم إليه ظروف الغناء، دون أن يتجاوزوا ذلك إلى التجديد في الصياغة العقلية والشعورية، فكل ما لهم في شعر الطبيعة إنما هو الكثرة، أما أفكارهم وطرقهم في الوصف ومناهجهم فكل ذلك يستعيرونه من المشرق، متأثرين بالشعراء العباسيين مثل أبي تمام وابن الرومي»([1]).

ونتيجة لتأثر شعر النوريات والزّهريات بشعر الطبيعة في المشرق من خلال اقتفاء الشعراء الأندلسيين أثر الشعراء المشارقة فما لبثوا أن أخذوا قصب السبق والتفوق عليهم في هذا الفن وأتوا بالروائع الخالدة وكل ذلك بدافع من طبيعة الأندلس وحياة اللهو ومجالس الطرب. « وإذا أقررنا أن شعر النوريات والزهريات كان متأثرا بشعر الطبيعة في المشرق ومعارضا له وأنهما كانا يخرجان من رحم واحدة فلا بد أن نحسب عامل البيئة وهو كان في صالح الشاعر الأندلسي بالإضافة إلى سعة

1- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، مصر، ط2، 1998، ص 445 .

الإنتاج وكثرته، وآراء النقاد تدل على أن تقليد الأندلسي للمشارقة كان إظهارا لتفوقه وقدرته لا تقليدا أعمى»[1]، ويقول مصطفى الشكعة في هذا الصدد: « فليس على المتأخر من بأس في أخذه من المتقدم طالما كان يسعى إلى مجال التطوير في الصورة ويهدف إلى التجديد في المعنى».

ليتضح أن نطاق التقليد والمحاكاة لم يكن حكرا على التقليد الأعمى؛ بل مثل فترة من النماء الخصب والكتابة المتميزة إذ ارتقى بهذا النوع من الكتابة إلى درجات عالية من الإبداع الفني وأسهم في إرساء قواعد وضوابط فنية تميزه عن غيره من الفنون الشعرية الأخرى كملمح أسلوبي له ميزاته وخصائصه.

خامسا: خصوصية التجربة الشعرية للنَّوريات والزّهريات في الشعر الأندلسي:

ظهر هذا الغرض وذاع في بلاد الأندلس، حتى لا يكاد يخلو منه ديوان من دواوين الشعراء الأندلسيين، وازدادت قوته، وكثرت أفانينه، وتنوعت أساليبه، وبلغ أوجه في عصور النهضة التي مرت بها بلد الأندلس. وخصوصا في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

ومن الصعب أن نجزم على وجه التحديد ببداية شعر الزهريات والنوريات في الأندلس، إلا أننا من خلال النظر إلى تاريخ الأدب الأندلسي يمكننا القول، بأن بداية هذا العصر خلت أو كادت تخلو من هذا اللون من شعر الطبيعة، إلا أن بعض المصادر حفظت لنا بعض الشعراء في عصر الولاة ونماذج من شعرهم، ويأتي في طليعتهم: أبو الأجرب جعونة بن الصمة الذي هجا الصميل بن حاتم زعيم القبائل

1 – سامي يوسف أبو زيد، الأدب الأندلسي، دار النشر المسيرة، عمان، ط1، 2012 ، ص79.

القيسية ومن ثم مدحه بعد ذلك، وكذلك بكر الكنائي، وقد سأل أبو نواس عباس بن ناصح عندما التقى به في العراق عن جعونة ([1]) ومن شعره ([2]).

ومن شعر جعونة [3]:

ولقد أراني من هواي بمنزل عال ورأسي ذو غدائر أفرعُ

والعيش أغيد ساقط أفـنانه والماء أطيبه لنا والـــمرتع

هذا نموذج من الشعر قاله شاعر مشرقي وفد إلى الأندلس[4] ونرى فيه إلماحا إلى شعر الطبيعة دون إغراق فيه.

وتتعدد أنواع الأزهار في الطبيعة، وأشكالها وألوانها، هي على كثرتها وتعددها وجدت لها مجالا واسعا في شعر الأندلسيين، ومن أبرز أدباء الأندلس الذين اعتنوا بوصف الطبيعة، وخصوصا أزهارها وأنوارها **أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الحميري (ت 440هـ)** في كتابه: "**البديع في وصف الربيع**" فقد حصر فيه أنواع الزهور والأنوار، وجمع في كل نوع منها ما استطاع من أبيات شعرية، هذا ما سنورده فيما يلي من أبيا دالة على عناية الأندلسيين بهذا الفن في مختلف الاغراض الشعرية.

ومن أهم أسباب نهضة هذا النوع من الشعر، ما حبا الله به بلاد الأندلس من طبيعة ساحرة، ومناظر خلابة، فهي شبه جزيرة يطوقها البحر من ثلاث جهات، تملأها الجداول والأنهار، وتحفها الثمار والأشجار، والحدائق المبهجة، مما حدا

1 – ابن سعيد. المغرب في حلي المغرب. تحقيق شوقي ضيف. دار المعارف. مصر. ط 3 . 1978. ج 1 ص 45، 224

2 – الحميدي. جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس. الدار المصرية للتأليف والترجمة. 1966. ص 189.

3– بن سعيد المغربي الأندلسي، المغرب في حلى المغرب. ج1. ص 131.

4– خليل إبراهيم السامرائي، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مصلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص87.

بالشعراء أن يفتتنوا بها، وأن يصوغوا هذا الافتتان شعرا متنوع الأغراض، ومتعدد الأساليب، والصور الجمالية. يخدمهم في ذلك ما تمرسوه من أساليب البلاغة، وفنون اللغة.

أضف إلى ما سبق ما كان أهل الأندلس يعيشونه من حياة الترف، والرفاهية التي لم يكن لها نظير عند غيرهم، وكان لها الأثر البالغ، على نماء شعر الطبيعة، وازدهاره، بل لا يكاد يخلو غرض من الأغراض الشعرية، مدحا كان أو هجاء، غزلا كان أو رثاء، من وصف الطبيعة، واستخدام صورها في رسم لوحات فنية، فيما يعرف بالرسم بالكلمات.

ويقول **ابن بسام:** «على كونهم بهذا الإقليم، ومصاقبهم لطوائف الروم؛ وعلى أن بلادهم آخر الفتوح الإسلامية، وأقصى خطى المآثر العربية؛ ليس وراءهم وأمامهم إلا البحر المحيط، والروم والقوط؛ فحصاة من هذه حاله ثبير، وثمده بحر مسجور» [1]

وربما كان أهم موضوع برع فيه الأندلسيون هو وصف الطبيعة، وقد أعانهم فيه جمال المناظر في إقليمهم، ولهم فيه روائع كثيرة، وهي روائع كانت تستمد من كنوز الشعر العباسي، مضيفة إليها أخيلة دقيقة كثيرة، على شاكلة قول **الرُّصافي**[2] يصف نهرًا وما على جانبيه من أشجار تتراءى على صفحته ظلالها[2]:

ومُهَدَّلِ الشطَّين تحسب أنـــه متسايلٌ من دُرَّةٍ لصـــــفائِهِ
فاءت عليه مع الهجيرةِ سَرْحَةٌ صدئت لفيئتها صفيحةُ مائِهِ
وتراه أزرق في غلالة سندسٍ كالدَّارعِ استلقى لظلِّ لـــوائِهِ

1- ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي . الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تح: إحسان عباس . الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ط1 . ق؟ ج4 ص 14.

2- الرَصافي البَلَنسي، الديوان، تح: إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص 32.

والزهريات والنوريات، بوصفهما صورة فنية جمالية، أبرزت جمال الطبيعة، وجمعت بين الحسنيين، جمال الشكل وطيب الرائحة، قد أضحت مصدر إلهام لكثير من شعراء الأندلس، حيث استمدوا من تنوع ألوانها وطيب عطرها، ما يخدم المعاني الشعرية في قصائدهم التي أحسنوا سبكها.

ترتبط الأزهار بمشاعر الإنسان ارتباطا وثيقا، فقد كانت وما زالت لها دلالات في حياة الناس قديما وحديثا، وهذا أمر نشاهده في واقعنا العملي، فهي تعبر عن صدق الأحاسيس، وعمق مشاعر الحزن أو الفرح لذا ولع شعراء الأندلس بوصف الأزهار، باعتبارها صورة صادقة معبرة عن الوجدان، مفصحة عما يجول بالخاطر، دالة على صدق مشاعر المتحدث.

وأسهم تنوع الأزهار، وتعدد ألوانها في إضفاء مسحة جمالية على النص الشعري، هذا مع ما تدرعوا به من جلباب البلاغة والفصاحة والبيان، ما ساهم في النهاية في رسم صورة شعرية لها أبلغ الأثر في نفس السامع، وتعكس انسجاما بين الشاعر وبين الواقع الذي يعيش فيه « استغل شعراء الأندلس ما حباهم الله به من جمال الطبيعة، والذي ساهمت فيه الزهور بشكل أساسي، فردوا الجميل إليها، بأن جعلوها محور أشعارهم، ومنطلق أحاسيسهم، فإن الشعر الأندلسي في هذا النطاق يعتبر صورة أمينة دقيقة أنيقة لبيئة الأندلس، ولما كانت طبيعة الأندلس من الفتنة والجمال والثراء والسحر فإن الشعر مرآة صادقة للطبيعة الأندلسية». [1]

ومن العسير أن نذكر على وجه التحديد بداية لظهور فن الزهريات والنوريات في الشعر الأندلسي. إلا أنه يمكن الجزم بأنه بلغ أوجه، وأينعت ثماره في القرنين الرابع والخامس الهجري على ما سنبين.

1- ينظر: الشكعة، مصطفى، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه. ص 255.

فمن المسلم به أن ثقافة الأندلس وحضارته، كانت امتدادا لثقافة المشرق وحضارته، وعلى هذا لا نجد وصف الطبيعة، في عصر الولاة، إبان فتح الأندلس بنفس القوة التي نجده فيها في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

ويشير **شوقي ضيف** إلى هذا الامتداد والصلة بين شعر المشرق والمغرب، فيقول: « ومهما يكن فقد كانت مُثُل الأندلسيين في الشعر هي نفس مثل المشارقة، ومع ذلك فنحن لا نكاد نعرف للأندلس شاعرًا ممتازًا في القرنين الثاني والثالث» [1].

وفي هذا إشارة واضحة إلى أن شعر الأندلس في هذه الفترة لم يكن إلا صورة طبق الأصل من شعر الأمويين والعباسيين في هذه المرحلة، رغم أنه يوجد شاعر أبدع في هذه الفترة، ويحي بن الحكم الغزال([2]).

وإذا أردنا أن نحقق ظهور هذا الفن فيمكننا الرجوع إلى قول **ابن حبيب الحميري**، حيث يقول: « فإن أحق الأشياء بالتأليف، وأولاها بالتصنيف ما غفل عنه المؤلفون، ولم يعن به المصنفون مما تأنس النفوس إليه، وتلقاه بالحرص عليه. وفصل الربيع آرج وأبهج، وآنس وأنفس، وأبدع وأرفع من أن أحد حسن ذاته أو أعد بديع صفات» [3] وفي هذا الكلام إشارة واضحة إلى أنه لم يُسْبَق بالتصنيف في هذا الباب، حيث يرى أن هذا الغرض قد غفل عنه المؤلفون، ولم يعن به المصنفون.

1- ضيف شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1987، ص417.

2 - انظر ترجمته: علي الغريب محمد الشناوي. شعر يحي بن حكم الغزال. مكتبة الآداب. القاهرة. ط 1. 2004، امحمد بن لخضر فورار. من شعراء الأندلس ومختارات من شعرهم. مطبعة جامعة محمد خيضر. بسكرة الجزائر ط 1. 2013. ص 46 – 50.

3- الحميري، أبو الوليد، البديع في فصل الربيع، تحقيق: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، ط1، 1418هـ، ص: 03.

الفصل الأول:

الخصائص الموضوعية والفنية لشعر النَّوريات والزَّهريات

1-موضوعات النّوريات والزّهريات في الشعر الأندلسي في القرنين الرابع والخامس للهجرة

2-أهم شعراء النّوريات والزّهريات

3-تراسل الحواس في شعر النّوريات والزّهريات

4-خصائص شعر النوريات والزهريات في الأندلس

أولا: موضوعات النّوريات والزّهريات في الشعر الأندلسي الأندلسي في القرنين الرابع والخامس للهجرة:

تطرق شعراء الأندلس من خلال وصف النوريات والزهريات إلى موضوعات مختلفة غير الوصف تعبيرا عما يجيش في وجدانهم من انفعالات يعبر فيها عن أحزانهم وأفراحهم وافتخارهم وإعجابهم وما يقابله من مدح وافتخار وغزل ورثاء مما يدل على قدرتهم في توظيف الأزهار والأنوار في بناء تلك الأغراض والتعبير عنها كما سيتضح ذلك من خلال الأمثلة التي ندرجها فيما يأتي:

1-الغزل:

لم يترك شعراء الأندلس نوعا من الزهور، أو صنفا من أصنافها أو لونا من ألوانها، إلا وأبدعوا فيع المقال وضمنوه شعرهم،

قال **ابن خفاجة** {السريع}[1]:

وَأَشقَرٍ تُضرَمُ مِنهُ الوَغى بِشُعلَةٍ مِن شُعَلِ الباسِ
مِن جُلَّنارٍ ناضِرٍ خـــدُّهُ وَأُذُنُـــهُ مِن وَرَقِ الآسِ
يطلُـــعُ لِلغُرَّةِ في شـــقرة حَبابَةٌ تَضحَكُ في كـاسِ

يوحي هذا التأثر بالمحبوب وجعله في مكانة من الجمال ليزاحم الأزهار فصفاتها صفاته فالخد يشبه الجلنار في تورده واحمراره، وتناسق الأذن مأخوذة من جمال وتناسق ورق الآس ما يوحي بالتكامل والجمال فما شابه الورد في حسنه لا محالة قد أخذ الحسن كله.

1- ابن خفاجة، الديوان، تح: مصطفى سلامة النجاري، المطبعة الخاصة بجمعية المعارف، القاهرة، مصر، ص 123.

ابن فرج الجياني[1] **(ت 365هـ)** {مجزوء الكامل}:

الأقــحـوان غـــــصونُـــــــهُ بيض النواصي والمفَارق
ومـــــــراودُ الأمـــــطار قـــد كُحِلَت بها حَدَقُ الحدائق
سوالفُ سَوسَن وخـــــدودُ ورد وأعينُ نرجسٍ وَجِبَاهُ غُـدرِ
محاسنُ ليس يُرضى عن نديم إذا لم يقض واجبها بشـكرِ.

فالمرأة في هذا المقام تساير وتناظر الورد الذي يعد رمزا طافحا للأنوثة والجمال، فهي السوسن وخودها الورد في احمراره والعين نرجس لتجمع لها من صفات الورد والأزهار ما يجعله تماثله، وتفوقه في الحسن والبهاء، وهذه عادة الأندلسين في ربط صور الطبيعة من حولهم بأشياء تشبهها لا فتتناهم وإعجابهم بها. وغير بعيد عن هذا بربط المحبة والحب والمرأهة بالأزهار والأنوارنجد ابن يقول **ابن حزم الأندلسي**[2]:

وبدا النرجس البديع كصب حائر الطرف مائلاً كالمدار
لونه لون عاشق مـستهامٍ وهو لاشك هائم بالـــبهار

شبه هذا النرجس الجميل الزكي بالفتاة الحائرة التي امتلأة دلالا وجمالا وحياء، فلونه ينزع إلى لون العاشق الذي هام حبا وشوقا في محبوبه، الذي شابه بدوره أزهار البهار الجميلة، منطلقا من صور الورد لينقل لنا هذا الحب والأفتتان، وفق قوالب جمالية تسقط عناصر الطبيعة الجميلة بأشياء جميلة متمثلة في المرأة المحبوبة وفي نفس المجال نجد **ابن زيدون** [3]{الطويل}:

1- ابن فرج الجياني، أحمد بن محمد الاندلسي. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب تحقيق إحسان عباس الناشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993، ص 473.

2- ابن حزم الأندلسي، الديوان، تحقيق صبحي رشاد عبد الكريم، دار الصحابة للثرات، طنطا، مصر، ط1، 1991، ص94.

3- ابن زيدون، الديوان. تحقيق يوسف فرحان، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ص 102.

وَرامِشَةٍ يَشفي العَليلَ نَسـيمُها	مُضَمَّخَةُ الأَنفاسِ طَيِّبَةُ الـنَشرِ
أَشارَ بِها نَحوي بَنانٌ مُـنَعَّمٌ	لِأَغيَدَ مَكحولِ المَدامِعِ بِالسِـحرِ
سَرَت نَضرَةٌ مِن عَهدِها في غُصونِها	وَعُلَّت بِمِسكٍ مِن شَمائِلِهِ الـزُهرِ
لَهُ خُلُقٌ عَذبٌ وَخَلقٌ مُحَـسَّنٌ	وَظَرفٌ كَعَرفِ الطيبِ أَو نَشوَةِ الخَـمرِ
يُعَلِّلُ نَفسي مِن حَديثٍ تَـلَذُّهُ	كَمِثلِ المُنى وَالوَصلِ في عُقُبِ الهَجرِ

يشبه الشاعر حبيبته بالأزهار الطيبة الزكية، فنسيمها دواء له، وإشارتها له بالبنان المنعم زادت من لوعته وتصابيه، ليأخذ هذا الجمال منحى الإسقاط حتى كأنها هي التي أهدت للياسمين جماله، وعذوبته، لتغدو محبوبته بأخلاقها العذبة وكلامها المزهو والمطرب فتنته وتعلله الأبدي.

2-الوصف:

اهتم شعراء الأندلس بوصف مباهج الطبيعة من رياض وأزهار، ولهم في ذلك صور شعرية بديعة فما قصروا في الإتيان بكل فريدة ووصفوا الربيع وأنواع الزهور من (سوسن والياسمين والنيلوفرط، والأقحوان والبهار وغيرها...)

ويشيع في أوصافهم تشبيه النرجس بالعين الساهرة التي تعاني من السهر وقلة النوم وقد أصابها الذبولوالاصفرار، وفي ذلك يقول **أبو عامر ابن مسلمة**[1]:

قد جاءنا رائد الربيع	بمنظرٍ رائقٍ بديع
هو البهار الذي تعالى	وجل في حسنه الرفيع
كأنه مقلةً تشكى	إلى الحياقلة الهجوع
أكف كافورةٍ قد أومت	بكأس تبر إلى الربيع

1- فوزي سعد عيسى. شعراء أندلسيون منسيون، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. الإسكندرية. مصر. ط10. 2009. ص 219.

أو شعلة النار وسط ماءٍ جسد من ثوبه النصوع

يشع هذا المقطع الشعري بتشبيهات كلها تحيل إلى الأزهار لما لها من ماكنة في نفسية الشاعر فقد وصفه بالبهار لعلو شأنه ووصف عيونه الساهرة بالنرجس الموشى ومن الشواهد أيضا قول **ابن زيدون**[1]:

نَحنُ مِن نَعمائِكُم في زَهرَةٍ جَدَّدَت عَهدَ الرَبيعِ المُقتَبَل

طابَ كانونٌ لَنا أَثناءَها فَكَأَنَّ الشَمسَ حَلَّت بِالحَمَل

زَهَرَت أَخلاقُكُم فَابتَسَمَت كَابتِسامِ الوَردِ عَن لُؤلُؤٍ طَلّ

يصف الشاعر مادحا ماهم فيه من نعماء وخير بسبب هذا الممدوح، بأزهار الربيع المتجدد بالعطاء والخير، وكأنها صفات الممدوح الذي يتجدد عطاء، وسخاء، حتى غدت أخلاقه مزهرة مبتسمة كابتسام الورد الزكي، فقد أعطى الشاعر لممدوحه من صفات حميدة وشبهها بالأزهار، فكان وصفه ممدوحه بالأنوار، محل الجلال والحسن فأنزله منزلتها وأولاه مكانتها وفي نفس الصدد يصف **ابن شرف القيرواني**[2]:

بِتنا جَميعاً وَكُلٌ في السَماعِ وَفي شُربِ المُدامِ حِجارِيٌّ عِراقِيُّ

أُسقى وَأَسقي نَديماً غابَ ثالِثُهُ وَالدَورُ مِنّا شِمالِيّ يَمينِيُّ

تَحتَ الظَلامِ الَّذي مِثلُ الظَليمِ جَثا وَالبَدرُ بَيضَتُهُ وَالجَوُّ أَدجِيُّ

حَنّى عَلى واقِعِ النِسرَينِ ذَروَتُهُ كَأَنَّ بَيدَقٌ بِإِثنَينِ مَحمِيُّ

يصف الشاعر حالهم وهم في مجلس شربهم في غبطة وسرور بين سماع وخمر تحت ظلمة الليل وعلى ضوء القمر حتى غدت النجوم كالبيادق في السماء.

1- ابن زيدون،. الديوان. ص 231.

2- ابن شرف القيرواني، محمد بن أبي سعيد. الديوان. تحقيق حسن زكري حسن. مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ط1، 1983، ص109.

ويضيف **ابن حمديس** (السريع): في باب الوصف والتشبيه[1]:

كَأنّما النيلوفر المُجْتَنى وقد بدا للعينِ فَوْقَ البـــنانْ

مداهنُ الياقوتِ محمرّةً قد ضُمّنَتْ شَعْراً من الزّعْفرَان

يصف الشاعر زهر النيلوفر لما بدا في أنامله، كأنه في حمرته الياقوت الأحمر وقد أضيف إليها الزعفران، ما يبدي جمال هذا الورد، ومدى افتتان الشاعر بجماله ويصف **ابن شهيد الأندلسي**[2]:

سهر الحيا برياضها فأســالها والنــور نائـــم

حتى اغتدت زهراتها كالغــيد باللــجج العوائـــل

من ثيبات لــم تبـل كشف الخدود ولا المعاصم

وصغار أبكار شكت خــجلاً فــعـاذت بالكمائم

قامت الرياض في نظر الشاعر كأنها تستحي وتخجل لجمالها وبهائها، فالأنوار والأزهار تأخذ أشكالا مختلفة وألوانا متنوعة، تظهر كأنها الخدود والمعاصم، وأخرى تستهيم خجلا لتجعل الكمائم كحاب ساتر لها، لتشابه جمال المرأة المتسترة والمتمنعة عن أعين البشر، ويقول **الوزير الكاتب أبو القاسم بن الخراز** يصفه فأحسن وأغرب، وأبدع وأعجب وهو[3]:

ورختجي(*) سحابي قوائـــمه خضر حكى ياسمينا في تفتحه

تميس قضبانه والريح تعطفها مشي النزيف تهادى في ترنحه

1- ابن حمديس الصقلي. الديوان. تصحيح وتقديم إحسان عباس. دار صادر. بيروت. لبنان. ط1. ص 69.

2- ابن شهيد الأندلسي، الديوان، محي الدين ديب، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2002 ، ص 155.

3- الحميري، أبو الوليد، البديع في وصف الربيع، تحقيق: عبد الله عبد الرحيم عسيلان، دار المدني، جدة، ط1. ص: 160.

(*) راختج أو رَخْتَج: اسم نسيج يصنع في نيسابور

كأن أوراقه في حسن خضرتها ... من الزمرد أسناه وأمـــــــلحه

تخير الشط في الأنهار منبته ... ففاز بالعرف في معنى تـبطحه

وغالب النور حتى قيل غـالبة ... فحسبه غالبا كافي مـــــرشحه

للوزير أبي عامر بن مسلمة فيه أبيات حسنة السبك، جيدة الحبك، وهي[1] {البحر السريع}:

يا زهر اللوز لقد فقت في الـ ... إحسان والحسن فأنت البـــديع

قد حزت حسنين وحازت نــوا ... وير الربا حسنا فأنت الـــــرفيع

تعلو بهار الروض حسنا فقد ... أصبحت مخصوصا بحب الربيع

قد أمك الوصاف إذ شـــبهوا ... غيرك بالخد وجار الـــــــجميع

فلونك المشرب في حـــــمرة ... من يره أصبح لا يـــــــستطيع

دفعا لما قلت إذا عـــــاينوا ... جمالك النورين عند الطـــــلوع

فقت النواوير اعتلاء فـــــما ... في زهرها غير سميع مـــــــطيع

يظهر أن الشاعر انبهر بزهر اللوز، فقد جمع عنده الحسن والإحسان حتى كان جمال كل الأزهار، ليعلو بهاءا البهار في حسنه، وامتد فتنته إلى اقترانه بحب الربيع لأن الزهور البيضاء لهذه الأشجار الجميلة، تزهر مع انتهاء موسم الثلج وكأنه يبشر بقدوم الربيع، ومن بديع ما قيل في وشف الأزهار، ورفيع ما شبه به قول صاحب الشرطة **أبي بكر بن القوطية** وهو[2] {الخفيف}:

وبنات للباقلاء تـــــبدت ... كعيون تفتحت من رقاد

فبياض منها مكان بياض ... وسواد منها مكان سواد

1- الحميري. أبو الوليد. المصدر السابق. ص 41، فوزي عيسى. شعراء أندلسيون منسيون. ص 217.

2- الحميري. المصدر نفسه. ص156.

يصف الشاعر العيون ويحيلها إلى الورود لتشبهها بها في ذبولوها، في صورة تجسيدية فعيون هؤلاء البنات في جمالها كالورود المتفحة بألوان متناسقة البياض في مكانه والسواد في مكانه وفي تراتب وجمال.

3-وصف الخمر:

لقد أكثر الشعراء بوصف الخمر لشغفهم وتعلقهم بها فمزجوها بوصف الطبيعة والنّوريات والزّهريات، فالخمرة عندهم لا تكون إلا في رحاب الطبيعة فهم يهيمون بها كلما استنشقوا عطرا أو رحيقا هتفوا بها وأحضروها حينا.

يقول ابن زيدون في وصف الخمر مستخدماً الورد قائلاً أدرها فقد جاء الوقت لملئ الكؤوس فحتى لو كان الربيع قد ذهب فما زلت تشعر بأثره في نفسك فصفات أبى عامر الجميلة يحضر لها الورد والنرجس، يقول[1] :

أدرها! فقد حسن المـــجلس وقد آن أن تترع الأكـــؤس

ولا بأس إن كان ولى الربيع إذا لم تجد فقده الأنـــــفس

فإن خلال أبى عـــــــامر بها يحضر الورد والــنرجس

ولأبي على إدريس بن اليماني قطعة حسنة التشبيه يقول أمير النور يأمرني بالشرب وأنا لا أطيق الشرب، ولكنى لا أستطيع عصيان الأمير وأمير النور كناية عن الياسمين فأخذ الكأس وشربها على وده وعلى لونه الأبيض الذي افترشه مثل السرير متطلعاً إلى السماء وحرص الشعراء الأندلسيين على تعاطي الخمرة في رحاب رياض تسر القلب وتدهش العين[2]، فالنجوم كأنها فضة تتجلى في السماء مثل

1- ابن زيدون، المصدر سابق، ص 141.

2- ينظر: ابن الكتانى، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ص93.

الزبرجد النضير فهو تزيد عن كل وردة في ابتسامتها كما يزيد الكبير على الصغير والشذا العابق فيها الذي يخرج منها مسكر كما ينخفض الصغير عن الكبير لكن رائحته الطيبة تعطر كل مكان، يقول[1]:

أمير النور يأمرنى بشـــــرب ولست أطيق عصيان الأمـــــــير

فخذ كأس السرور فـــسقنيها على ود الأمير على الـــــــسرير

نجوم من لجين تـــــــجتليها سماء زبرجد خضل نضـــــــــير

تزيد على الأقاحى ابتســـــام كما زاد الكبير على الصـــــــغير

وينخفض الشذا المسكى عنها كما انخفض الصغير على الكـــبيـــر

وقال في ابن زيدون [2]:

وشادن أسأله قـــــــهوة فجاد بالقهوة والـــــورد

فبت أسقى الراح من ريقه وأجتنى الورد من الخـــد

فهذا الساقي الذي طلب منه خمرا، فلما أتاه به لم يأت وحيداً، بل جاء ومعه حمرة خديه كالورد فظل يشرب من بين يديه ويقتطف الورد من خديه، والتي شبهها بالورد الأحمر اليانع.

4-وصف الرياض والحدائق:

قد وصف الشاعر الأندلسي النّوريات والزّهريات حيث تفنن في تصويرها بمختلف أشكالها وألوانها وتعدد النماذج الشعرية في هذا الباب نذكر منها:

1- المرجع السابق، ص 97.

2- ابن زيدون، الديوان، ص 68

يصف **يحيى بن هذيل**[1] مكانا جميلا رائع الخضرة نما على طول البلاد فكأنما هو ذهب مسكوب فتجد التناسق والتناغم فيه لدرجة أنك تعجب من تناغم الروض مع الندى ويشبه بالعين المتلهفة للقاء الحبيب، ثم يصف ألوانه المختلفة والورود التي يحويها من أنواع كالريحان ويستكمل المشهد بغزل في الورود وألوانها فكأنما الوردة الصفراء إذا نظرت للبيضاء كأنها نظرة عاشق لحبيب، يقول[2] :

بمـــــحلة خضراء أفرغ حليها الذ هبى صاغة قطرها المـــسكوب

بسقت على شرف البلاد كأنـــما قامت إلى ما تحتها بـــخطيب

والروض قد ألف الندى فـــكأنه عين توقف دمعها لـــــــرقيب

متخالف الألوان يجمع شـــــمله ريحان ، ريح صبا وريح جنوب

فكأنما الصفراء إذ تومى إلى الـــ بيضاء صب جانح لـــــحبيب

وله أبيات صريحة في وصف الزهور وجمالها، يقول [3]:

طأن حناياها جناحا مـــــــــصفق إذا ألهبته الشمس أرخاهما نـــشرا

كأن سواريها شكت فترة الضـــــنى فباتت هضيمات الحشا نحلا صفرا

كأن الذى زان البياض نـــــــحورها يعذبها هجراً ويقطعها كـــــــبرا

1- عاش أبو بكر يحيى بن هذيل في عصر الخلافة الأموية في الأندلس ولد في مدينة قرطبة سنة 305هـ، وعاش في بيئة مثقفة مزدهرة، وتلقى ثقافة أدبية وإسلامية متنوعة الجوانب ويصفه الحميدى بأنه من أهل العلم والأدب والشعر والحديث. الحميدي. جذوة المقتبس. 381، توفي سنة 389 هـ بعد ان كف بصره وصار يعرف بالكفيف. انظر ترجمته: يحي بن هذيل القرطبي الأندلسي. شعره. جمع وتحقيق ودراسة محمد علي شوابكة. منشورات جامعة موتة. الأردن. ط1. 1996، - يحي بن هذيل. ما وصلنا من شعره.جمع وتقديم حمدي منصور. مجلة مجمع اللغة العربية. دمشق. مجلد 77 جزء 1. جانفي 2002، امحمد بن لخضر فورار. من شعراء الأندلس ومختارات من شعرهم . ص 46 – 50.

2- يحي بن هذيل. شعره. ص 74.

3- يحي بن هذيل. شعره. ص 84 -85.

كأن النخيل الباسقات إلى الـــــعلا عذارى حجال رجلت لمما شـــقرا

كأن غصون الآس والريح بـــينهما متون نشاوى كلما اضطربت سكرا

كأن جـــنى الجـــــــلنار ووردة عشيقان لما استجمعا أظهرا خـفرا

حديقة نفس تملأ النفس بـــــهجة وتثنى عيون الناظرين بها حسرى

كأن جنى سوسانها فى سنا الضحى كؤوس من البلور قد حشيت تبرا

كأن عيون النرجس الغض بالــندى عيون تدارى الدمع خفية أن يـرى

كأن جنى الخيرى فى عبش الدجـى نسيم حبيب زار عـــــاشقة سرا

كأن ينابيع المياة مـــــــــراجل تفور وقد أذكت لهن الحصى جمرا

يرى الشاعر كأن ربوعها مثل الجناحات التي تقي لهيب الشمس وكأن أساورها هي الذهب الأصفر الخالص أما بياضها الذي يزين نحورها هو جمال هارب، كأن النخيل العالي الذي فيها مثل العذراء بعيد المنال وكأن أفرغ وغصون الآس في تلك الحديقة المبهرة الجميلة كالمتون، فخديها جلنار فهي حديقة تملأ النفس بهجة أما السوسن فيها فهو عند بزوغ الضحى مثل الكؤوس البلورية أما النرجس الملتحم بالندى كالعيون المليئة بالدموع والنسيم يهب عليها كما الحبيب وينابيع المياه فيها مثل القدور التي تغلي وتفور كي تسقيهم وتجعلهم في أبهى صورة وأحسن حال

كما يصف **ابن عبد ربه**[1] روضة جعلت الربيع وشاحا لها لأنها عقدته بها نوراً بنور فكأنما هو تزويج بتزويج فهذه روضة اكتست ملامح من النور فلبست حلل الموشى الأزهار أي أزهار تلك الروضة، قال[2] :

وروضة عقدت أيدى الربيع بها نوراً بنور وتزويجاً بـــتزويج

1- ابن عبد ربه، الديوان، جمعه وحققه: محمد رضوان الداية، مؤسسة رسالة، بيروت، لبنان، 1979، ط 1، ص 5- 10

2- المصدر نفسه، ص 37

بملقح من سواريها ومـــــلقحة وناتج من غواديها ومـــنتوج

توشحت بملاة غير مـــــلحمة من نورها ورداء غير منسوج

فألبست حلل الموشى زهـــرتها وجللتها بأنماط الديـــــابيج

وقال ابن عبد ربه [1]:

وما روضة بالحزن حاك لها الندى برودا من الموشى حمر الشـــقائق

يقيم الدجى أعناقها ويـــــــميلها شعاع الضحى المستن في كل شارق

إذا ضاحكتها الشمس تبكى بأعين مكلــة الأجفان صفر الـــــــحمالق

حكت أرضها لون السماء وزانـــها نـجوم كأمثال النجوم الخـــــــوافق

بأطيب نشراً من خلائقه التـــــي لها خضعت في الحسن زهر الخلائق

يصف الشاعر الرياض وروضة بعيدة، حاك لها الندى برودا من الموشى الأحم وشقائق النعمان، ليقيم الليل في أعناقها، ويميلها شعاع الضحى الذي يهب من المشرق، أما إذا طلت عليها الشمس ترى عيون بيضاء المقلة من جمال هذه الأزهار.

5-وصف المرأة:

المرأة في الأندلس ليست إلا صورة من محاسن الطبيعة فهي ظل لها ولجمالها فقد وصفوا المرأة بالشمس والقمر والأزهار والأنوار فقد كانوا إذا تغزلوا صاغوا من الورد خدودا ومن النرجس عيونا ومن السفرجل نهودا ومن قصب السكر قدودا:

قال ابن عبد ربه في وصف امرأة مستخدماً الزهور والرياحين لوصف محاسنها أي تفاح أو رمان يصف جمال خصر كالريحان أي ورد قد يصف خدا منيراً كأنه ورد بين سوسان فهي تعبد لأنها صيغت من الدر والمرجان فإن رأيت أنفها

1- المصدر السابق، ص 115.

خلسة لن يقام عليك الحد أبدا وينهى الأبيات ببيت شعر قديم من أبيات العروض، قال[1]:

أى تفاح ورمـــــــــان	**يجتنى مــن خوط ريحـان**
أى ورد فوق خـــــد بـدا	**مـستنيراً بـين ســـوسان**
وثـن يعـبد فـــى روضــة	**سيغ مـــن در ومــرجان**
من رأى الذلفاء فــى خلوة	**لم ير الحـد على الــزانى**
إنــمـا الذلــفاء ياقــوتــة	**أخرجت من كيس دهــقان**

وابن زيدون قال في وصف فتاة أنها كباقة من الريحان تشفى رائحتها العليل ويبة النفس والرائحة طويلة العنق والقامة وجذابة النظر أجمل من المسك فهي سقيت بالمسك الصافى النقى، إذا حدثها أو أخذ الياسمين من يدها فكأنما أخذ النجوم من راحة البدر، قال[2] :

ورامشة يشفى العليل نـــــــسيمها	**مضخمة الأنفاس طيبة الــــــــنشر**
أشار بها نحوى بنان منـــــــــعم	**لأعيد مكحول المدامع بالــــــــسحر**
سرت نضرة من عهدها فى غصونـها	**وعلت بمسك من شمائله الــــــزهر**
إذا هو أهدى الياسمين بـــــــكفه	**أخذت النجوم الزهر من راحة الــــبدر**
له خلق عذب وخلق مـــــــــحسن	**وظرف كعرف الطيب أو نشوة الخـمر**
يعلل نفسى من حديث تـــــــــلذه	**كمثل المنى والوصل فى عقب الهجر**

أما نونية ابن زيدون الشهيرة فقد تخللت القصيدة مقاطع كان يشبه فيها ولادة بالورد والزهر ويتذكر في حسرة أيام ودهما وأنها كانت مثل الريحان لروحه، قال[3]:

1- ابن عبد ربه، المصدر السابق، ص 166 – 167.

2- ابن زيدون، الديوان، ص 102

3- ابن زيدون، مصدر نفسه، ص 299

ليسق عهدكم عهد السرور فما كـنتم لأرواحنا إلا رياحـــينا

ثم يكمل وصفها وأنها سليلة الملوك والحسب والنسب كأنها خلقت كالمسك وكافة الناس من طين ، قال[1]:

ربيب ملك كـأن الله أنـــشـأه مسكاً وقدر إنشاء الـــورى طينا

أو صاغة ورقاً محضاً وتوجه من ناصع التبر إبداعاً وتحسيناً

ويسترسل واصفا إياها فيقول أن وجنتيها زهراً وضع لكى يبعد عنها الحسد ويحميها، ويقول لها يا روضة جعلت أنظارنا دائمة معلقة إليها لأنها كلها نضارة وشباب وأيتها الحياة التي تمتعنا بها وتلذذنا، قال[2]:

كأنما أثبتت فى صحن وجـــــنتـه زهر الكواكب تعويذاً وتزيـيـــــــنا

ما ضر أن لم نكن أكفاءه شــرفـاً وفى المودة كاف من تـــــكافينـا

ياروضة طالما أجنت لواحـــــظنا ورداً جلاه الصبا غضاً ونـــسرينا

ويا حياة تملينا بزهـــــــــــرتها منى ضروباً ولذات أفـــــــانينا

6-المديح:

امتزجت النّوريات والزّهريات بالمديح فقد وظفها الشاعر الأندلسي في ذكر فضائل ممدوحه ووصفه بجمال الأزهار وعطور رائحتها الزكية ومنظرها البهي ونذكر على سبيل المثال أمثلة في المديح:

قال **أبو عبد الله بن مسعود** عن الآس _ وهو من فصيلة النباتات الخضراء التي أوراقها بيضاء عطر الرائحة عذب المنظر _ إن الآس هو مؤنس لكل شخص يعانى من الأسى والحزن فهو الشفاء والدواء لكل قلب مجروح مكتئب فالآس مزهر

1- المصدر السابق، ص 300.

2- المصدر نفسه، ص 301.

في كل فصل تجده مزهراً في الشتاء والربيع والخريف والصيف أما عن سواه من النواوير تنقلب فتأتى فصول وتغادر في فصول حيث « وقف الشاعر الأندلسي على أرض بلاده يمتع نظره بروعة طبيعتها» [1]، فالآس إذا اشتميت رائحته أو بدأت في الظهور فهو إن شممته ليلاً فيعني أنك نلت هبة وأنك حظيت بالكثير فلا يجد أجمل وأحلى منه يهدى به، ثم يتعجب في جمال منظره وروعة تفاصيله فيقول كأنه نما في جنه الخلد ثم جاء منها إلينا ثم يكمل قائلاً لو سابق النور فهو عدل صحيح المعتقب فهو إذا حضر غلب وطغى، قال:

الآس آس لأســـى كل فؤاد مكـــــــــتئب

في كل فصل زاهـ وما سواه منـــــــــقلب

أهدى لأرواح بـــه أرواح روح وطـــــــرب

كأنه في جنة الـــ ـخلد نما ثم اقتضـــــب

لو نافر النور إلـى عدل صحيح الـــــمعتقب

وصحفت نصـبتـه جاء نبيا فغـــــــــلب

خاطب الوزير أبو عامر بن مسلمة أبى الوليد قائلاً[2] يمدحه يا واحد الأدباء أي يا من لا ينازعك في الأدب فأنت متفرد به وملم بعلومه لا ينازعك شاعر فأنت ابن الكرام وابن الحسب والنسب وابن النجباء الأفاضل ثم يقول له لقد بعثت لك مطيباً أنشئ طيب الرائحة نمقته أي زينته وجملته من الرياض والزهور والنواوير التي هي من دارى التي هي في الأصل من دارك الغناء أي يقصد بقوله هذا أن كل هذا الخير والجمال الذي نحن فيه أصله جمالك أنت وجمال دارك وبيتك ثم يحدثه عن

1- أبو عودة، نادية صالح راشد، وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي في عصر الخلافة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1995، ص 26.

2- الحميري الإشبيلى، البديع في وصف الربيع، ص 91.

الزهور التي نمق بها وجمل بها هديته فيقول له فيها الآس لا تزال رائحته تهفو عطراً وشذى فتظل تشم رائحته حتى تهلك كل أعداءك فالآس حكاية من الحكايات الجميلة التي تحكى عن طيبها وطيبك وحسنها وأصلها وأصلك فهو خلق من أخلاقك الكريمة التي أبرزها بالإطراء لكنك لا تحتاج لإطراء فأنت كالسماء إذا رأينها مخضرة وبدت لنا نرى فيها أنجم الجوزاء ثم ينهى حديثه قائلاً أقبل هذه الهدية من عاشق محب لك يبعث إليها إليك من وده وشدة حبه فأنت أخوه ولا تزال أخوه ذو المنزلة العالية الرفيعة وذو العلو والمكانة والشرف فالشعراء الأندلسيون يقول عنهم المقري « إنهم إذا تغزلوا صاغوا من الورد خدوداً ومن النرجس عيوناً ومن الآس أصداغاً ومن السفرجل نهوداً ومن قصب السكر قدوداً ومن قلوب اللوز وسرر التفاح مباسم» [1]، قال الوزير أبو عامر ابن مسلمة[2]:

يا واحد الأدبـــاء والشـــعراء وابن الكرام السادة النـــــجباء

إني بعـــثت مـــطيباً نـــمقته من روض دارى دارك الـــغنّاء

من آسه لا زلت تأسوا عاطراً وتبيد ما يعدوا من الأعـــداء

يحكى بطيب عرفه وبـــحسنه خلقاً خليقاً منك بالإطـــــراء

هو كالسماء إذا بدت مخضرة لاحت عليها أنجم الجـــوزاء

فاقبله من صـــب بـــحبك وده ألا تزال أخا علا وعـــــلاء

فرد عليه أبو الوليد قائلاً منادياً إياه تعظيماً لوده وكرمه أنه قد أرسل له من مودته له ومحبته وما أرسله له هي فداء من كل سوء ثم يقول له لقد وصل ما يعثت

1- ينظر: جودت الركابي المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج 1 ص 323.

2- الحميري الإشبيلى، البديع في وصف الربيع، ص25، فوزي عيسى. شعراء أندلسيون منسيون. ص 199.

مطيبك ويعبر مطيبك هذا عن طيبتك وأخلاقك وكرمك وهو يعبر عن أصل وكرم أخلاق من اهداه ثم يقول له لقه سقيته بعدما كان ظمآناً بكأس هي الدواء لكل داء فهديته معروفة مشهورة حتى لو كانت مغطاة بقطعة من القماش فهي شهيرة طيبة الرائحة ويبدو أنه أهداه زجاجة خمر وغلفها بالورود الجميلة لكى تضفى عليها طابعاً جمالياً أنيقاً وهذا حسب ما اعتقد أو حب ما ظهر من الأبيات ولقد زدت مكانة هذه الهدية الجميلة بنظمك أي بأبيات الشعر الرائعة التي أرسلتها وبعثت بها فأصبح له مكانة أعلى من أعلى رتبة أعلى من الرتبة العلياء حسب وصفه وقوله ، ثم يكمل قائلاً أنها منيرة بنور الآس الجميل في مظهره الرائع في ورقاته فهو كالنور الذي حل لينير ليلة ظلماء ثم يقول له جمال خُلقك وخَلقك حين نحاول أن ننظمه عقداً فهو مثل البدر أي القمر الذي يتوسط العقد ما بين النجوم فهو البدر المنير، وتدل هذه الأبيات على مكانته عند أبى الوليد.

كما تعبر الأبيات عن أنه حين نظمها وغلفها بالورود الجميلة والآس كيف أنها أعطت رونقاً وبهجة في نفس أبى الوليد مما يدل على شدة قدرة النواوير على بعث الحب والرضا في نفس متلقيها فسبحان الله الذي أودعها هذا الجمال المرئي والحسي في قلوب متلقيها ومعطيها، قال[1]:

يا من حبوت بوده حـــــــــوباء وهى الفداء له من الأسواء

وصل المطيب معرباً عن طيب من أهداه مكتئباً من الأهـــداء

أظميته من بعد ما أرويـــــــــته بمدامة فيها دواء الـــــداء

ما كان أشهر طيبة لو لم يـــــكن متستراً بالقطعة الـــــغراء

أربى عليه نــظمك الــحلو الــحلى فانحط بعد الرتبة الـــعلياء

1- الحميري الإشبيلى. المصدر السابق، ص 91.

إن كان نــور الآس فــى ورقـــاته نوراً بدا فى ليلة ظلـــماء

فجمال خلقك حين ينـــــظم عـقده كالبدر ينظم أنجم الجــوزاء

أما أبو بكر بن القوطية فقال عن نواوير الريحان الجميلة أما ترى الريحان أوراقه تلتف وتدور حول بعدها وهي غير منبسطة فهي دقيقة كاللمات _ أي الشعر الذي وراء الأذن _ وهو شعر دقيق لا يكاد يرى بالعين المجردة فيقول أي انظر سبحان الله في خلقه كيف يخلق هذا النبات الجميل، وهو غير مرئي لدرجة مثل التي وصفها وهو أيضاً مجعد أي من الصعوبة في وصفه ونموه حتى إذا أشرق وبان نوره وغدا وسطع فهو كالجواهر المنيرة فتجده في الربى والحدائق وتستطيع أن تلتقطه في كل مكان، ثم إذا مل بقاءه في أشجاره تجده يتساقط على الأرض بروعة لا مثيل لها ثم يكمل كاشفاً عن ما بداخله قائلاً حتى إذا سقط انفتح على الأرض كاشفاً عن ثمر لونه أسود أي حبيبات سوداء اللون حين تراها للوهلة الأولى تظنها حبر لشدة سوادها، فسبحان الله المبدع فى خلقه فلا يعطينا هذا إشارة على وحدانية الخالق وتجليه فمن يستطيع هلق مثل هذا، قال[1]:

أما ترى الريحان أوراقـــه تلتف تجعيداً ولا تبـــــــسط

دقيقة اللمات في رؤوسها كأنه أسود جعد قـــــــــطط

وقد غدا تنويره جـــــوهراً ففى الموامى والربى يلتـــقط

حتى إذا ما مل من مكثــه في عودة المشرق فيه ســقط

منكشفاً عن ثمــر أســـود كأنه من نفض حبر نقـــــط

1- الحميري الإشبيلى، المصدر السابق، ص92

وفي مقطوعة أخرى له أيضاً قال فيها مادحاً الآس وجماله وأنه هو والوفى وأن كل نور غيره غدار إذا رأيته تثمر النفس من حلاته إذا لمحته ولمحت نوره النوار فكأنما ألبس المزن خضر حلى وأزراره هي المسك والكافور، قال[1]:

لا أيئس الإسهامى السكب مدرار فهو الوفى وكل النور غــدار

تكاد تثمر نفس الصب من جذل إذا بدا ثمر منه ونـــــــــوار

كأنما ألبسته المزن خضر حـلى لها من المسك والكافـور أزرار

أما الوزير أبى عامر بن مسلمة له أبيات يمدح فيها ذي الوزارتين قائلاً: وذكى الرائحة لقيناه على كرسي ملكه أي جالساً عليه ثم يمدح حديقته وأرضه قائلاً مثل البحر دلالة على شدة جمالها هذا الجمال غطاه نور توسط هذا البحر مثل السفينة التي تتوسطه هو جلس وتوسط حديقته ثم يقول ياسمين غدت أنوارنا أي انقادت وأصبحت طوعاً له ثم يصفه ويصف براعته في الشعر والنثر وكيف أنه معروف عنه وعن مجلسه الأدب فهو من يحبه موقن منه أما من يكرهه فهو كمهلكه، قال[2]:

وذكـــى الـــعرف لاقا نا على كرسي مـــــلكه

أرضه الخضراء بـحر نوره فيه كـــــــــفلكه

ياسمين قد غدت أنـــ ـوارنا طوعاً لـــــــملكه

طوع حر الشعر عب داً وقد أومى لســـــلكـه

ماجد ينقاد مـــنه الـ ـأدب الغض لمـــــــلكه

ماله يـــــوقن مـنه ومناويه بهلـــــــــكه

أما الوزير الكاتب أبو الأصبغ بن عبد العزيز ينشد قائلاً لقد أقبل الياسمين بعرشه عرفناه من رائحته الطيبة قبل أن يعرفنا بنفسه مكتمل الطيب والجمال والشكل

1- الحميري الإشبيلى، المصدر نفسه، ص93.

2- المصدر السابق، ص 95، فوزي عيسى. شعراء أندلسيون منسيون. ص 222.

فهو يترفع عن أي وصف فكأنما خلقه الله قبل أن يتزاحم النور ليخطف أي نبات ثم يصفه أنه سليل الملوك عليه كساء أخضر والزهرة كالقطن المرفرف فوقها، قال[1]:

وياسمين بعرشه أشرف عرفه العرف قبل أن يعرف

تكامل الطيب والجمال له فهو من الفضل فوق أن يوصف

كأنما خلقه البديع إذا تزاحم النور قبل أن يقطف

سرير ملك عله مشملة خضراء والقطن فوقها ينـدف

قال أبو بكر بن القوطية: وزهر أبيض ناصع صافى الأديم طلع فوق لون أخضر يميل للاسوداد نزيه النفس هامته في الأعالي عرفه طيب الرائحة له رائحة المسك فلا تراه إلا عند ملك أو تراه عند شخص معروف بالكرم له السبق نوراً فيرتفع عرشه مثل الملك العظيم في هيئته وجلسته أما ثماره التي تخرج منه مثل السماء التي حلت عليها النجوم، قال[2]:

وأبيض ناصع صافى الأديم تطلع فوق مخضر بهيم

نزيه النفس همته المعالى ذكى العرف مسكى الأديم

فلست تراه إلا عند ملك وإلا عند خاصى كريم

شأى النوار فارتفع اعتراشاً عليه كهيئة الملك العظيم

كأن ثماره المجنيى منها سماء قد تحلت بالنجوم

قال القاضي ذي الوزارتين في الياسمين البرى المعروف باسم الظيان كأن لون الظيان لما بدا للعين نوره أصفراً على ورقه فهو مثل لون جفن المحب الذي يحب بلا ملل فاصفر من سقمه وتعبه وأرقه، يقول[3]:

1- الحميري الإشبيلى. المصدر نفسه، ص 95.

2- الحميري الإشبيلى. البديع في وصف الربيع. ص 69.

3- ابن الكتانى، التشبيهات، ص 98.

كأن لون الظيان حين بدا نواره أصفراً على ورقـــــــه

لون محب جفاه ذو مـلـل فاصفر من سقمه ومن أرقـه

7-الرثاء:

رافقت الأنوار والأزهار الشاعر الأندلسي في فرحه وحزنه فقد استعان بها في ذكر مناقب أمواته وحسناتهم فنذكر بعض النماذج في هذا الباب.

قال **ابن حمديس** يرثي باقة من الزهور[1]:

يا باقةً في يميني للرّدى بُذِلَـتْ أذابَ قَلبي عَلَيكِ الحُزْنُ والأسَفُ

أَلَم تَكوني لِتاجِ الحُسْنِ جَوهرةً لَمّا غَرِقْتِ فَهَلّا صَانَكِ الصّــدفُ

تبدلت قيمة الأزهار من الحسن الوضاء، والبهجة المفرطة، إلى باقة أجزان وأشجان، أذابت القلب كمدا، وحزنا، من حال جائر تغيرت معه الأفراح إلى أتراح.

وقال الرصافي البلنسي[2]:

يا وَردَةً جادَت بِها يَـدُ مُـتحِفي فَهَمى لــَها دَمـــعي وَهاجَ تَأَسُّفي

حَمراءُ عــاطِرَةُ النَـــسيمِ كــأَنَّها مِن خـــدِّ مُقــتَبِلِ الشَـبيبَةِ مُترَفِ

عَرَضَت تُذَكِّرُني دَماً مِن صاحِب شَرِبَت بِهِ الــدُنيا سُــلافَةَ قَــرقَفِ

فَلَثَمتُها شَــغَفاً وَقُــلتُ لِعــبَرَتي هِيَ ما تَمُجُّ الأَرضُ مِن دَمِ يُوسُفِ

نستشف من خلال هذه الالتفاتة اللطيفة إلى أن موضوع الزهريات والنوريات، وهي ظاهرة شعرية تنم عن حس مرهف، وحسن توظيف للطبيعة، في إثراء المعاني والصور. وتبين من خلال هذا البحث أن الأندلسيين، قد جارو وحاكوا غيرهم من

1- ابن حمديس الصقلي، الديوان، ص 315.

2- الرَصافي البَلَنسي، الديوان، ص 111.

المشارقة في هذا اللون الشعري، إلا أنهم تفننوا فيه وبرعوا، حتى تفوقوا في الإكثار منه، وهو أمر محمود على كل حال.

ثانيا: أهم شعراء النوريات والزهريات في الشعر الأندلسي في القرنين الرابع والخامس للهجرة:

كان القرن الرابع والخامس الهجري في الأندلس من أكثر القرون التي نظم فيها الشعراء، وتنوع إنتاجهم وازداد غزارة وكثافة، نظرا لتطور الحركة الشعرية في عصر الخلافة وملوك الطوائف حيث أعطو للشعر مكانة خاصة وأولوه عناية بالغة من خلال تنافس ملوكها في خدمة الأدب والشعر« وقد قام كثير من الشعراء بمحاولات موفقة في وصف الطبيعة مجملة في شكل رياض وبساتين ومفرقة في شكل ورود وأزاهير وأشجار وأطيار وأنهار»[1].

1- أهم شعراء هذا اللون الشعري في القرن الرابع الهجري (عصر الخلافة):

- ابن عبد ربه القرطبي: (ت 328هـ)

ومن جميل شعره الذي يشع جمالا بحضور النوريات والزهريات في بنيته وتراكيبه اللغوية([2]):

رَياحينُ أُهْديها لِرَيْحانَةِ المَـــــجْدِ جَنَتْها يَدُ التَّخجيلِ مِنْ حُمْرَةِ الخَدِّ

ووَرْدٌ بهِ حَيَّيْتُ غُرَّةَ مـــــــــاجِدٍ شَمَائِلهُ أَذْكَى نَسيماً مِنَ الـــوَرْدِ

ووَشْيُ رَبيعٍ مُشْرِقِ اللَّوْنِ ناضـــرِ يَلوحُ عليْهِ ثَوْبُ وشْيٍ مِنَ الحمدِ

بَعَثْتُ بها زَهْراءَ مِنْ فَوْقِ زَهْـــــرَةٍ كتركيبِ مَعشوقَينِ خَدّاً على خــدِّ

1- مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، مرجع سابق، ص 130.

2- ابن عبد ربه ، الديوان ، ص 49.

- ابن فرج الجياني (ت 336هـ):

الجياني هو أحمد بن محمد بن فرج، أبو عمر الجياني، أديب ومؤرخ أندلسي، من الشعراء والعلماء، ألف كتاب الحدائق للمستنصر الأموي الحكم بن عبد الرحمن وهو مختارات من شعر الأندلسيين، وله عدة مؤلفات منها: المنتزين والقائمين بالأندلس وأخبارهم، تم سجنه من قبل المستنصر لأمر نقمه عليه، ويقال بأنه مات في سجنه والذي له فيه أشعار كثيرة سنة 365هـ / 975م[1].

ويعمد إلى التشخيص في وصف النرجس فيقرن صفرته بصفرة العاشق ويراه قد ارتدا ثياب الحزن البيضاء جريا على طريقة أهل الأندلس في ارتداء الثياب البيض عند الحزن يعبر عن ذلك[2] بقول [3] هـ:

ونرجس تطرف أجفانه كمقلة قد دب فيها الوسن

كأنه من صفرة عاشق يلبس للبين ثياب الـحزن

- ابن هانئ الأندلسي (ت 362هـ):

هو أبو القاسم محمد بن هانئ الأزدى الأندلسي كان أبوه هاني من قرية المهدية في إفريقية نشأ في إشبيلية وترعرع فيها على حظ وافر من الأدب والعلم كان حافظاً ابن عبد ربه لأشعار العرب ولد سنة 326 وتوفى سنة 362[4].

1- انظر: امحمد بن لخضر فورار. من شعراء الأندلس ومختارات من شعرهم . ص 38 - 40، خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ط5، ج1، 1998 ص209

2- ينظر: امحمد بن لخضر فورار. من شعراء الأندلس ومختارات من شعرهم . ص 33 - 37، فوزي عبسى، الأدب الأندلسي ، ص 44.

3- أبو الفرج الجياني، الحدائق والجنان من أشعار أهل الأندلس والديوان بني فرج شعراء جيان، تح محمد رضوان الداية، نادي تراث الإمارات، أبو ظبي. دت، ص 56.

4- ابن هانئ الأندلسي، الديوان، تح: كرم البستاني، دار بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص 5.

ومن نماذج شعره في النوريات « قطعة بديهية سرية كلها سنية يصف فيها الورد والياسمين والنرجس صنعها في مجلس جعفر بن الأندلسية وقيل في مجلس جعفر بن فلاح»، وهي[1]:

وثلاثة لم تجتمع في مـــجلس إلا لمثلم والأديب أريـــــب

الورد في شمامة من فـــــضة والياسمين وكل ذاك عـجيب

والنرجس الغض الذكى ولــونه لون المحب إذا جفاه حـبيب

فاحمر ذا وابيض ذا واصـفر ذا فبدت دلائل كلهن غريـــب

فكأن هذا عاشق وكـــــأن ذا ك معشــق وكأن ذاك رقيـب

ويصف الخيرى والنيلوفر حيث يعلل بطرافة أدبية كآبة النمام وعدم نشر طيبه في النهار بأن النيلوفر رقيب عليه فهو يخشى أن يكشف سره، أما إذا جاء المساء وأغمض النيلوفر عيونه ونام أذاع الخيرى أريجه فحمل النسيم أنفاسه العطرة [2]:

كأنما الخيرى حب غـدا النيلوفر الغض عليه رقيب

فهو إذا طـبق أجفانــه بالليـل لاقاك بنشـر وطيب

قال ابن هانئ الأندلسي في زهرة البنفسج([3]):

بنفسج جمعت أنواره فحكـت كحلاً تشرب دمعاً يوم تشـــــتيت

أو لازوردية أربت بزرقتهـا وسط الرياض على زرق اليـواقيت

كأن قضبانه والريح تحملها أوائل النار في أطراف كـــــبريت

ويداعب ابن هانئ الأندلسي زهرة البنفسج، فيقول في مدحها، ويمدح أزهاره الجميلة، مثل: الكحل في العين الجميلة أو كالازورد الأزرق الصافي فهو يتوسط

1- ابن هانئ الأندلسي، المصدر نفسه، ص 2.

2- ابن هانئ الأندلسي. الديوان. المرجع السابق، ص 30.

3 - المصدر نفسه، ص 108-109.

الحدائق كالياقوتة في وسط المكان حتى إذا ما حركته الرياح، وحركت أغصانه كأنها نار مشتعلة أُقيدت بكبريت.

- ابن القوطية: (ت 367هـ):

هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية أصله إشبيلية وسكن قرطبة كان أديب ا وشاعرا وعالما بالنحو واللغة وأخبار الأندلس وأحوال فقهائها وشعرائها وكان هو صاحب الشرطة توفى سنة 367[1].

ومن نماذج شعره في النوريات أبيات يتغزل فيها بوردة السوسن الذى تفتح باكراً وبزهزر الورد والآس وهما محمران الخد كأنما هما دماً أما الكافور فقد غار من حلاوتهما كالعقيق الذي اشتد احمراره، فهما مثل الخد الذى اشتد احمراره من كثرة اللطم عليه فهو مثل أنابيب الفضة، قال[2] :

اشرب على السوسن الغض الذي فغما وباكر الآس والـــورد الذى بخـــما
كأنما ارتضـــعا خلـــفى سمائـــهما فأرضعـــت لـــبناً هـــذا وذاك دما
خلان قد كـــفر الـــكافور ذاك وقـــد عق العقيق احمراراً ذا ومـــا ظـــتلما
كأن دمـــــية نصـــــت لـــمعترضٍ وذاك خد غـــداة البـــين قد لـــطما
أولاً فـــذاك أنـــابيب اللـــــجين وذا جمر الغضى حركته الريح فاضطرما

- الحاجب المصحفي (ت 372)([3]):

هو أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيلة الحاجب المصحفى من بربر بلنسية أديب شاعر عمل كاتبا زمن الناصر وفى زمن الحكم

1- خير الدين الزركلي، الأعلام، ص312.

2- غالب، طاهر، الروضيات في الشعر الأندلسي، المرجع السابق، ص 69.

3 – الحاجب المصحفي. المصدر نفسه. ص 48، غالب، طاهر، الروضيات في الشعر الأندلسي، ص 37 .

تولى خطة الوزارة واستطاع المنصور بن أبى عامر أن يصرفه عن الحجابة ويلقى به في السجن توفى سنة 372.

وله أبيات خص فيها أكثر من نور يقول انظر إلى الرياض تحسبها كالوشي الذي صنع ونمق أحسن تنميق فالسوسن غض يريح القلب أما يوم وداعه فقد تمزق القلب والثوب من شدة الجزع عليه أما النرجس الطرى فتتعب العين من السهر والنظر إليه فهو يحكى عن المحب وإذا دنوت منه لكي تتنسم هواءه العليل فتشم نكهة المعشوق فالحديقة عندما جاد عليها المطر أصبحت مثل المشروب الذي يجرى له الريق فهي مثل الياقوت ترى نورها مثل الكواكب من الجواهر العتيقة، قال[1] :

انظر إلى الروض الأريض تخاله كالوشى نمق أحسن التـنميق
وكأنما السوسان صب مـــدنف لعبت يداه بجيبه المشـــقوق
يوم الوداع ومزقت أثوابـــــه جزعاً عليه أيما تـــــمزيق
والنرجس الغض الذكى مـــحاجر تعبت من التسهيد والتـــأريق
يحكى لنا لون المحب بلـــونه وإذا تنسم نكهة المعـــشوق
وكأن دائرة الحديقة عنـــــدما جاد الغمام لها برشف الريـــق
فلك من الياقوت تسطع نـــوره فيه كواكب جوهر وعقيـــــق

3- أبو مروان الجزيري (ت 394هـ):

أجمع المترجمون لأبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري الخولاني الأزدي على نسبته إلى الجزيرة الخضراء في الأندلس، فهذا ابن الأثير يقول: هذه النسبة إلى

1- امحمد بن لخضر فورار. من شعراء الأندلس ومختارات من شعرهم . ص 41 – 45، الحاجب المصحفي الأندلسي. ما تبقى من شعره . جمع وتقيم امحمد بن لخضر فورار. مجلة جذور. النادي الثقافي. جدة. عدد 35. نوفمبر 2013. 25 – 58.

الجزيرة الخضراء بالأندلس ينسب إليها الوزير أبو مروان عبد الملك بن إدريس المعروف بالجزيري[1].

أما أبو مروان الجزيرى فقد كتب إلى المنصور بن أبى عامر أحداق الحسنوات تغار منى وتنظر لي بنظرة الغيور فهو يتكلم قائلاً على لسان النرجس ويضلوا في التحدث عنى يطلع على قضبى عيون كمائمى وهنا تبدأ وردة النرجس في وصف نفسها مثل العيون التي تحف بالرموش الجميلة والأجمل لو شبهتني بالدرر أهدت لي قضب الزمرد ساق وحبوت بالأنفاس العاطرة أنا النرجس حقاً الذي أبهر العقول بتركيبتي البديعة المميزة فيقال عنى البهار ويقال لي النرجس فأنا تراني في فصل الربيع وردة متفتحة أزهو وأكبر في الحدائق وبنزول الأمطار فإذا ما نزل المطر على أصبح عطراً جميلاً للأنوف تشمه ومنظر مبهج يتهافت علىّ الأبصار ويعجب أبى كل من يراني يحى بى الندام بعضهم بعضاً وقت شرب الكؤوس وحينما تنطق الأوتار أي حينما تلعب الأعواد وتبدأ حفلات الغناء والطرب ثم تمتدح المنصور بن أبى عامر قائلة أقل جود العامري محمد ألف حكت حدقي وتلك نضار، ولو دل هذا لدل على ولع الأندلسيين بالطبيعة والاستعانة بها في أغراضهم الشعرية حداً يصعب معه على القارئ أن يدرى إذا كان الشعراء يتحدثون عن الطبيعة أم كانت الطبيعة تتحدث عنهم لفرط ما تغلغلت في نفوسهم ولكثرة ما وصفوا مناظرها[2]، قال[3]:

1- انظر ترجمته: أبو مروان الجزيري الأندلسي. شعره. جمع وتحقيق أحمد عبد القادر صلاحية. دار المكتبي. سورية. ط 1. 1997، امحمد بن لخضر فورار. من شعراء الأندلس ومختارات من شعرهم . ص 53 – 68، فورار أمحمد بن لخضر، سمات نثر الشاعر أبي مروان الجزيري الأندلسي، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد السادس، 2007، ص66.

2- ينظر: العناني، زهر، الإنسان والطبيعة في شعرية ابن خفاجة والرومانسيين الفرنسيين، دار المتنبي للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2002 ، ص 45 _ 47.

3- المرجع نفسه، ص 103. أبو مروان الجزيري الأندلسي. شعره. 99 – 100.

حدق الحسان تقر لي وتـــــــغار وتضل فى صفة النهى وتحـــار

طلعت على قضبى عيون كمائـمى مثل العيون تحفها الأشـــــــفار

وأخص شئبى إذا شبـــــــــهتنى درر تنطق سلكها ديـــــــــنار

أهدت له قضب الزمرد ســــــاقه وحباه أنفس عطره العـــــطار

أنا نرجس حقاً بهرت عـــــقولهم ببديع تركيبى فقيل بهـــــــــار

إنى لمن زمن الربيع تـــــــربنى قطع الرياض وتلقح الأمـــــطار

فأكون عطراً للأنوف ومـــــــنظراً بهجاً تهافت نحوه الأبصـــــــار

ـ يوسف بن هارون الرمادي (ت قبل 403هـ):

هو يوسف بن هارون الكندى أبو عمر ويعرف بالرمادى نسبة إلى موضع فى المغرب شاعر قرطبى سريع القول مشهور عند العامة والخاصة لسلوكه فى فنون المنظوم كان قد سجن وألف كتاب سماه الطير وصف فيه كل طائر معروف([1]).

يطالعنا يوسف بن هارون الرمادي بقصيدة يمدح بها أحد الوزراء حيث شبه ممدوحه بالربيع في حسن منظره وجمال مخبره ودخوله إلى المدح في هذا الموضع مفضل له مستحسن منه، قال {البحر الطويل}:

على روضة قامت لنا بـــــــدرانك وقام لنا فيها الذباب بمـــــــسمع

إذا ما شربنا كأسنا صب فـــضلها على فصصنا للمسمع المـــــتخلع

كأن السحاب الجون أعرس بالـثرى فلاح شوار الأرض في كل مـوضع

رياض يضاحكن الغزالة بـــــــعدما بكت فوقها عين السماء بأربـــــع

1 – انظر ترجمته: امحمد بن لخضر فورار. من شعراء الأندلس ومختارات من شعرهم . ص 90 – 99 ، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، دار صادر، بيروت، لبنان، طبعة 2007. ج 2 ص 225، الحميدي. جذوة المقتبس.ص372.، الرمادي . شعره. جمع وتقديم ماهر زهير. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ط1. 1980. ص 85 – 89.

كأن سرور الأرض حزن ســـحابها إذا ما بكت لاحت لنا فى تصـــــنع

حبائب لا يسمحن إلا بلـــــــحظة وشمة أنف للمحب المـــــــــمتع

بدائع ما أهدى الوزير بـــــــنانه إلى صكه إلا أتانا بأبـــــــــدع

في قصيدة أخرى يوردها الحميرى ليوسف ابن هارون الرمادى قصيدة قالها في مدح العارض أحمد بن سعد يقول فيها كيف أن الأرض اكتست لوناً رائقاً وأخرجت كل ما فيها من أسرار مثل المحب الذي ضاق صدره من الوجد فلما رأى الربيع ابتهج كذلك هو حينما يرى صديقه، قال[1] :

كست الأرض بساطاً رائـــــــقاً بطنها سداة والأرض نـــــسج

أخرجت أسرارها إذ أحرجـــــت رب سر أحرج الصدر خـــرج

كمحب ضاق وجداً صـــــــدره فبدا ما كان فى الصدر اعتلج

صاح إن يبهجك وجه حـــسن فليكن وجه الربيع المـــبتهج

أعرس الروض ومن قيـــــناته أم من خالف فى الاسم السمج

تتغنى أولاً في رجـــــــــــز فإذا امتدت تغنى فى الهـــزج

وكأن الروض من خط أبـــــى بكر العارض وشى ودبـــــج

- الوزير الكاتب أبو الأصبغ بن عبد العزيز:

أما الوزير الكاتب أبو الإصبغ بن عبد العزيز له أبيات متعجبة ، قال[2]:

فضائل الظبيان معروفـــة تـروق في المنظر والـــــــخبر

فاق النواوير معاً أنـــــه منزه يأوي إلى البـــــــــــر

وإنه يأنف أن يـــــقتنى علـى سبيل المـلك والقـــــــسر

1- يوسف بن هارون الرمادي المصدر السابق. 58 – 59، الحميرى الإشبيلى. البديع في وصف الربيع، ص 12.

2- الحميرى الإشبيلى. المصدر نفسه، ص 98-99.

فآثر الصحراء مستأنساً في ليلة بالأنجم الزهـــــــــر

متى تزره تلق من عرفه ما شئت من طيب ومن عـــــطر

أبراده خضر ولكنـــــها مخضوضـــــة باللبن الـــــصفر

يرى أن فضائل الظيان أي الياسمين البرى معروفة تعجب في منظرها من يراه وحتى حين تحكى عنها يعب بها من يسمع خبرها وسيرتها « فاهتمام الشعراء الأندلسيين بالأزهار والورود كان كبيراً ومن شدة هذا الاهتمام كان بعضهم يفضل نوعاً معيناً دون غيره ويصر على أنه الأفضل فيرسم له أبدع الصور ويستلهم من حسنه وبهائه أعذب الألحان» [1]، فهو فوق النواوير وفاقهم فهو منزه عنهم يأوي إلى البر كما أنه يأنف من أن يقتنيه أحد كأن يأسره أو يمكله فترك كل هذا وآسر حب الصحراء حيث أنه من الفصيلة البرية فلا ينمو إلا في الصحراء حيث الليالي المليئة بالنجوم المزهرة متى ما ذهبت إليه لتراه أو تزوره تلقى من الطيب والرائحة ما لا يمكن أن تراه في موضع آخر أبراده خضر أي أطرافه أو ورقاته خضراء لكن لونها الأخضر لون ممتزج باللون الأصفر.

أما النرجس وهو نبت تويجاته بيضاء ، وقلبه دائرة من ورق أصفر صغير وورقه شبيه بورق الكراث، فمن البديع فيه قول أحمد بن هشام بن عبد العزيز ابن سعيد الخير بن الإمام الحكم وقد بعث به إلى الإمام عبد الرحمن الناصر لدين الله قائلاً يا ملك الملوك يا سليل الملوك المصفى والذي تجلى دون أن يحدد بوصف أنا عبدك الشاكر المؤمل أهديك نرجساً كالعبير له رائحة طيبة كلما فاحت رائحته تذكرتني وقلت صديق في هذا الليل عاطر زارك حباً وألفاً وإذا ما رأيته بعينك تسكر من جماله فهو ألوان أرسلت إليك منه مثل ما هو مثل الإبريز لوناً أصفراً.

1- أبو عودة، صالح راشد، وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي في عصر الخلافة، ص 45.

- **جهْور بن أبي عبده أبو الحزم الوزير:**

ولد أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغافر بن يوسف بن بخت بن أبي عبدة في الأول من المحرم عام 364 هـ لأسرة من أعرق البيوتات القرطبية، فجده الداخل إلى الأندلس يوسف بن بخت مولى عبد الملك بن مروان كان في طالعة بلج بن بشر القشيري، وكان من أنصار عبد الرحمن الداخل الذي ولاه الحجابة كما ولاه هشام الرضا قيادة الجيوش. ومن بعد ابن بخت تولى العديد من أبنائه مناصب الوزارة والقيادة في عهد أمراء بني أمية وخلفائهم ومن بعدهم للعامريين المتغلبين على أمر الخلافة. كان أول أمر أبو الحزم جهور توليه منصب الكاتب لعبد الرحمن المنصور الذي كان عهده بداية لاندلاع فتنة الأندلس .تولى أبو الحزم بعد الوزارة لعلي بن حمود لفترة قبل أن ينقلب عليه ويعتقله ويصادر أمواله([1]).

ومن بديع توظيفه لهذا النسق من اعتماده للزهريات والنوريات في إرساء شاعريته وإثراء تجربته الشعرية نجد في قوله([2]):

خضَعتْ نواوير الرياض لحسنه ... فتدللت تنقاد وهي شـــواردُ

وإذا تبدّى الورد في أغصـــانه ... ذلوا فَذَا مَيْتٌ وهذا حاســـد

وإذا أتى وفد الربيع مـــــبشراً ... بطلوع صفحته فنعمَ الـوَافِدُ

1-ابن عذارى ، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983 ط1، ج3 ص 185.

2- المقري التلمساني، نفح الطيب. ج1 ص 304 .

3 – انظر ترجمته: امحمد بن لخضر فورار. من شعراء الأندلس ومختارات من شعرهم. 118 – 131، ولنفس المؤلف. الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية. دار الهدى للطباعة والنشر. عين امليلة . الجزائر. 2009، في كثير من صفحاته. ومقدمة ديوانه. تحقيق محمود علي مكي. المكتب الإسلامي. ط2. 1389 هـ.

ليس المبشِّر كالمبشَّر باســمه خبر عليه من النُّبوة شاهدُ

وإذا تعرّى الوردُ من أوراقـــــه بقيتْ عوارفه فهن خــوالدُ

2-أهم شعراء النوريات والزهريات الذين أدركوا القرن الخامس الهجري:

ضم القرن الرابع الهجري العديد من كبار الشعراء في عصر الخلافة في زمن عبد الرحمان الناصر لما كان للشعراء من مكانة في تلك الحقبة الزمنية وسنعرض ترجمة لأبرز شعراء هذا القرن.

- ابن دراج القسطلي: (ت 421هـ):

هو أبو عمرو أحمد بن محمد بن دراج الأندلسي القسطلى كان كاتب المنصور بن أبى عامر وشاعره وقيل في حقه أنه متنبي الشام كان من أسرة نبيلة مرموقة وكانت بلدته معروفة باسم قسطلة دراج ولد سنة 347هـ، سطع نجمه في الدولة العامرية وتوفى سنة 421 ([1]).

ويصف لنا البهار وهو من الأنوار التي حظيت بأوصاف جميلة، فهو نور جميل الشكل أبيض وسطه أصفر، يشبه السوسن شكلاً ورائحة ويمكن أن نعرفه أكثر من خلال وصف ابن دراج له ، قال[2] :

بهار يروق بمسك نــكى وصنــع بديع وخلق عجب

وغصون الزير قد أورقت لنا فضة نورت بالذهــــب

- ابن شهيد الأندلسي (ت 426هـ):

هو أحمد بن عبد الملك بن عمر بن عيسى بن شُهَيْد، من أحفاد أحمد بن عبد الملك وزير الناصر عبد الرحمن الأموي، بضم الشين وفتح الهاء وسكون الياء ودالها مهملة أشجعي النسب. وهي بفتح الهمزة وسكون الشين، وفتح الجيم وبعدها عين

1 - ابن دراج القسطلي، الديوان، ص 8.

2- ابن دراج القسطلى، االمصدر نفسه. ص 32

مهملة وهذه النسبة إلى أشجع بن رَيْث بن غطفان وهي قبيلة كبيرة، وزير من كبار الأندلسيين أدباً وعلماً، كنيته أبو عامر، ولادته سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة للهجرة، سليل أسرة عُرفت بالوزارة والرياسة، وكان والده عاملاً للمنصور ابن أبي عامر، وقد نشأ في بيت عُرف بالوزارة والثراء والترف. [1]

ولابن شهيد مقطوعة في وصف الربيع والنوريات، قال[2] :

أما الرياح بجو عاصم ... فحلبن أخلاف الغمائم

سهر الحيا برياضها ... فأسالها والنور نائم

حتى اغتدت زهراتها ... كالغيد باللجج العوائم

من ثيبات لم تبل ... كشف الخدود ولا المعاصم

وصغار أبكار شكت ... خجلاً فعاذت بالكمائم

ورد كما خجلت خدو ... د العين من لحظات هائم

وشقيق نعمان شكت ... صفحاته من لطم لاطم

وغصون أشجار حكت ... رقص المآتم للمآتم

حييت بطوفان الحيا ... فتضاحكت والجو واجم

أصناف زهر طوقت ... درراً تذوب بكف ناظم

من باسم باك إليـ ... ـك ند وباك وهو باسم

يرى الشاعر في قصيدته سهر الحيا بالرغم من أن النور نائم حتى أصبحت زهراتها كالغيد ويتحدث البتلات وهي تتفتح والورود الصغيرة في لوحة شعرية جميلة،

1- انظر: امحمد بن لخضر فورار. من شعراء الأندلس ومختارات من شعرهم. 132 – 140.

2 – ابن شهيد الأندلسي ديوانه ورسائله، جمع وتحقيق: محي الدين الديب المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 123- 124.

فالورد يتفتح في خجل أما شقيق النعمان فأصبح يانعاً فالأغصان والأوراق تحيى الجو في انسجام فمن يرى هذا المنظر وهو باك سيبتسم.

- أبو جعفر بن الأبار: (ت 433هـ)

يتغزل أبو جعفر ابن الآبار في ورد الأس قائلاً وآس هو للمهومين مثل المواساة التي يلتهون بها عن حزنهم من حلاته يتيه بها الزمان فهو كالغدائر المرسلة فهو مثل نبات رائع اجتمعت به كل المميزات فهو قبل أن يبدو نوره مثل اللؤلؤ ثم يصف شكلها لشئ من الحب في وصفه ثم يكمل وصفه قائلاً كأن الصبح شق به جيوباً أي سوى به ثغرات مثل الجيب الذي زين بالأزارير ويكمل وصف البذور السوداء التي تخرج منه في روعة للوصف وجمال يدل على شدة جمال هذا النبات، قال[1]:

وآس كاسمه للـــــهم آس تتيه به حلى الزمن القشيب
وأرسل كالغدائر مرســـلات بها قطط ونم بكل طـــــيب
وكتم نوره فـــــــبدت لآل مدحرجة لها عرف الحـبيب
كأن الصبح شق به جيوباً فغادر فيه أزرار الـــــجيوب
ونافسه الورى شغفاً وحـباً فعود سود حبات الـــــقلوب

ومنه مثل ما لونه مثل لون الجمان المصفى فكأنني مثل الصيرفي الذي يحاول صرفا، قال[2]:

يا مليكاً من الملوك مـــصفى والذي جل أن يـــحدد وصـــــفا
عبدك الشاكر المؤمل أهـــدى نرجساً كالعبير نشراً وعـــــــرفا
كلما فاح نشره قلت إلـــــــف في دجى الليل عـــــاطر زار إلفا

1- الحميري الإشبيلى. البديع في وصف الربيع. ص 92.
2- المصدر نفسه، 100.

وإذا ما لحظته قلت ألـــــــحا ظ خليع قد مال سكرا فأغـــــفى

منه مثل الإبريز في صفرة اللو ن ومنه مثل الجام المصـــــــفى

فكأني بما أقلب مـــــــــــنه صيرفى أضحى يحاول صـــــرفا

- ابن زيدون (ت 463هـ):

أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي المعروف بابن زيدون394) هـ1003/م في قرطبة - أول رجب 463 هـ 5/أبريل 1071 م) وزير وكاتب وشاعر أندلسي، عُرف بحبه لولادة بنت المستكفي[1].

وقال ابن زيدون في وصف الورد [2]:

كأن عشى القطر فى شاطئ النهر وقد زهرت فيه الأزاهر كالزهر

ترش بماء الورد رشاً وتنـــــــثنى لـــتغليف أفواه بطيبة الـخمر

يرى الشاعر كأن مساء القطر فى شاطئ النهر لما تفتحت فيه الأزهار النيرة مغفلة الأزهار بالندى مغلفة الأفواه أطيب من الخمر.

- ادريس بن اليمان اليابسي (ت 465هـ):

أبو علي إدريس بن اليَمان بن سام العَبدَري اليابسي شاعر أندلسي من أهل القرن الحادي عشر الميلادي/ 5هـ. ولد في جزيرة يابسة من الجزائر الشرقية ونشأ وتعلم في دانية مدح بعض ملوك الطوائف من بنو حمود وبنو عباد وبنو ذي النون . هو من الشعراء البارزين في عصره وعاش حوالي ثمانين سنة. ([3])، قال [4]:

---

1 - امحمد بن لخضر فورار. من شعراء الأندلس ومختارات من شعرهم. 170 - 180. 4 - ولادة 200 - 203.

2- ابن زيدون، الديوان، ص 136.

3- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الأدب في المغرب والأندلس، إلى آخر عصر ملوك الطوائف بيروت، لبنان: دار العلم للملايين، ط3، 1985، ج 4 ص 623.

4- الحميري الإشبيلى، البديع في وصف الربيع، ص 32.

مراشف الخيرى حو لعـــس كأنه قد قبلته الشـــــــمس

أو نفست للمسك فيه نفس الطيـب في الليل عليه حبس

وماله تحت النهار حـــس كأنما الضوء عليه حـــبس

وصف الشاعر الخيرى قائلاً مراشف الخيرى مثل الحسنة الجميلة التي تظهر في الشفاة كأنما الشمس قد أعطته قبلة منها أو لا بد أن المسك قد نفس منه في هذا النبات الجميل الذي لا يظهر ريحه إلا في الليل فلا ترى له في النهار أي حس أو أي رائحة أو صوت فكأنما هو محبوس أو قد أتى عليه الضوء فأصبح حبيساً لا يستطيع الإفصاح عما فيه حيث أن الخيرى لا يزهر ويعطى نسيماً إلا بعد نزول الليل.

- المعتمد بن عباد (ت 488هـ):

يقول المعتمد بن عباد في وصف روضة أنها مُفصلة كما اللؤلؤ أو كما حديقة أزكى رائحتها الريحان، قال[1]:

دُرّا بَـــعثتَ مُـفصّلاً بِـجُمانِ أَو رَوضَةً مِسكيَّةَ الريحانِ

لا بَل عُروسا قَد زَفَفتَ تـولّدت ما بَينَ فكرٍ ناقِدٍ وَبَـــنانِ

سَمعا لأمرك إِذ دعوتَ إِلى الَّتي تَدَعُ القُلوبَ قَليلَة الأَحـزانِ

1- امحمد بن لخضر فورار. من شعراء الأندلس ومختارات من شعرهم. 215 – 220.

2- المعتمد بن عباد. الديوان. تح: حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدوي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط3، 2000، ص 62

ثالثا: تراسل الحواس في شعر النّوريات والزّهريات في الشعر الأندلسي:

1- تعريف الحس في اللغة والاصطلاح:

-الحس لغة:

الحِسُ والحَسِيسُ: الصَوْتُ الخَفِيُّ؛ قال الله تعالى «لا يسمعون حسيسها» والحِسُّ بكسر الحاء: من أَحْسَسْتُ بالشيء. حَسَّ بالشيء يَحُسُّ حَسًّا وحِسًّا وحَسِيسًا وأَحَّسَ به وأَحَّسَهُ: شعر به[1].

-الحس اصطلاحا:

تعددت المفاهيم حول الحواس فسنحاول التركيز على تعريف شامل لوظائف الحواس جاء في التعريف «الحواس بالنسبة للإنسان هي روح الأعضاء الدالة عليها فقد يفقد البصر وتبقى أداته العين في الوجه، ويفقد السمع وتبقى الأذن، ويفقد اللمس حين يصيب الأطراف شلل، وقد تتبادل فيما بينها الدور فالضمير له النظر، والعين قد تسمع بالرؤية، والأنف قد يشم الصوت وقد يتذوق النغم، ويتلمس النظر ويحال الفكر إلى واقع»[(2)].

تنوعت طبيعة الأندلس عن طبيعة البلاد العربية، وهذا ما أدى إلى ظهور منابع جديدة للأدب والرقى والفكر، ولعل اختلافها في الأندلس وجمالها كان أحد الأسباب التي دفعت الشعراء والكتاب للتمعن في هذه الطبيعة الجميلة « ومما لاشك فيه أن الطبيعة الأندلسية الساحرة ألهمت الشعراء بتفاصيلها المختلفة، وأدت دوراً كبيراً في لفت أنظارهم إلى الأزهار والنواوير، وبهرهم جمالها المتمثل في اللون

1 - ابن منظور، المصدر السابق، مادة (ح.س)، ص 470.

2 – يوسف محمد عيد، الحواسية في الأشعار الأندلسية، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط3، 2003م، ص 243-244.

والشكل والرائحة، ولما تحويه من مناظر بهيجة، وأشكال بديعة، وأشذاء عبقة، ولا سيما عندما تلتقي في روض واحد.

وقد شحذت هذه الطبيعة قرائحهم ونمت مواهبهم، مما ترك أثراً طيباً في النفوس تُرجم إلى شعر يتغنى بالطبيعة ومفاتنها»[1]، ولعل تلك الطبيعة أثقلت في نفوسهم نوع من أنواع المودة والألفة مع المكان ومع طبيعته الساحرة.

ولما كان الشعراء الأندلسيين متأثرين بالمشارقة فقد جاروهم في أغراض الشعر وتوسعوا بعدها لأغراض مختلفة من هذه الأغراض هو غرض الوصف، وصف الطبيعة بتقلباتها بأمطارها برعدها بورودها وزهورها وصف كل ما يتعلق بالطبيعة في شعرهم أو حتى استخدامه للتطويع لأغراض أخرى، فالشاعر المحب يصف حبيبته بالزهرة وخدها بالوردة.

أما الشاعر الذي يفخر يمدح نسله وسلالته بأطيب الروائح وأما الشاعر الذي يمدح القادة والملوك يضفى على شعره لمسة جمالية للممدوح بوصفه بأطيب الصفات التي يتسلل إليها استخدام الزهريات والنوريات في غرض مدح سماحة وعظم الممدوح.

وكانت الأندلس أرضاً خصبة للشعراء يتلذذوا بجمالها وطبيعتها الساحرة فتنوع الزهور فيها والجبال والبحار والأنهار وتساقط مياه الأمطار كل ذلك كان مدخلاً للشعراء وكان باباً لتزهر قرائحهم به « إن صور الزهريات تعطى للشاعر طاقة لا محدودة في الإبداع، تغوص في أعماق الشعراء لتستنفر كل عاطفة فيهم، إنها ظاهرة دقيقة في هذا الزخم الهائل من الحضارة المتمخضة عن ثقافات مختلفة، صور

1- عمار عبد القادر محمد شلبى، الزهريات والنوريات في الأدب الأندلسي، دراسة وصفية، ص 66.

تعكس ما يخالج نفس الشاعر نحو الجمال! جمال يخاطب كل الحواس، هي في الحقيقة مشاهد تأخذ اللب وتهز أوتار القلوب»[1].

أما **المقري** فيقول في محاسن الأندلس وفضائلها« محاسن الأندلس لا تستوفى بعبارة، ومجارى فضلها لا يشق غباره، وأنى تُجارى وهى الحائزة قصب السبق، في أقطار الشرق والغرب»[2]، وطبعاً لا يخلو دور اللون من وضوح الصورة أكثر وإعطاء بعداً ثلاثياً للصورة « وللألوان دور فعال في إضفاء لمسة سحرية على الطبيعة فتجعلها في حلة زاهية تخطف أنظار الشعراء الأندلسيين» وتتنوع الصور من بصرية مرئية، وشمية ذات رائحة، ولمسية تعتمد على الشكل وسنورد مختارات شعرية من النوريات والزهريات في هذا الباب.

رابعا: خصائص شعر النوريات والزهريات في الأندلس:

تتميز النّوريات والزّهريات مجموعة من الخصائص فبعد دراسة نماذج لشعراء القرن الرابع والخامس رصدنا أهم الخصائص والمميزات للشاعر الأندلسي في نظمه النّوريات والزّهريات.

1- بالرغم من استخدام الشعراء للنوريات والزهريات إلا أن الشعر كان مفهوماً واضحاً خالياً من أي صعوبة في الفهم، حيث استخدم الشعراء ألفاظ تخدم قصائدهم لكنها بعيدة عن الخشونة والصعوبة، مثل قول ابن هانئ الأندلسي[3]:

الورد في شمامة من فـــــضة والياسمين وكل ذاك عجـيب

والنرجس الغض الذكي ولونـــه لون المحب إذا جفاه حبيـب

1- وفاء عزيز، صور الزهريات في شعر الصنوبري، دراسة أسلوبية، جامعة الحاج لخضر، قسم اللغة العربية وآدابها، 2010 ، ص5

2- المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 125

3-ابن هانئ. الديوان. ص 09.

فاحمر ذا وابيض ذا واصفر ذا فبدت دلائل كلهن غريـــب

فالشاعر هنا أوصل المعنى الذي يريده بدون أي صعوبة في الألفاظ ووضح تباين الألوان وتنوعها.

2- استخدام المحسنات البديعية لإثراء الألفاظ واللغة، ولإثراء القصيدة مثلما استخدم ابن شهيد حسن التقسيم[1]:

وافاك فى زمن عجيب مونق وأتاك فى زهر كريم ممتع

3-الإكثار من استخدام التشبيهات المختلفة المستمدة من البيئة، لأن بيئة الأندلس بطبيعة حالها كانت بيئة جميلة، مثل قول ابن هذيل[2]:

كأن حناياها جناحا مصـــفق إذا ألهبته الشمس أرخاهما نـــشرا

كأن سواريها شكت فترة الضنى فباتت هضيمات الحشا نحـلا صفرا

كأن الذى زان البياض نـحورها يعذبها هجراً ويقطعها كـــــبرا

كأن النخيل الباسقات إلى العلا عذارى حجال رجلت لمما شـــقرا

فابن هذيل استخدم التشبيهات المستوحاة من البيئة دون اللجوء إلى تشبيهات غريبة متصنعة

4- تأثر شعراء الأندلس بشعراء المشارقة في الوصف، وصف الطبيعة أو وصف الزهريات والنوريات أو غيرها من الأغراض المختلفة للوصف.

من مواقف شعراء الأندلس بالنسبة لتجربتهم في شعر الطبيعة وشعر النّوريات والزّهريات اقتفاء أثر المشارقة ونظموا على طريقة العرب القدماء والتي لا تخرج عن كونها تقليدا إلا أنهم توسعوا بالقول فيها لوجود مقتضيات هذا التوسع مثل البيئة والطبيعة الساحرة لبلاد الأندلس.

1- ابن شهيد الأندلسي، ديوانه ورسائله، ص 59.

2- يحي بن هذيل. شعره. 84 – 85، ابن الكتاني. كتاب التشبيهات. ص81.

الفصل الثاني:

القيم الإيحائية والدلالية في شعر النّوريات والزّهريات
في القرنين الرابع والخامس للهجرة

1-دلالة النوريات على بديع صنع الله تعالى

2-دلالة النوريات على الحب

3-دلالة النوريات على الجمال

4-دلالة النوريات على الخوف والقلق والتشتت

تمهيد:

يعد القرنان الرابع والخامس الهجريين بادرة لتفتق شعرية الشاعر الأندلسي وبروز شخصيته الفكرية والفنية فالشعر ظاهرة تعبيرية جمالية فنية، يحدث بتأثر الإنسان بالبيئة المحيطة به، متأثر بكل ما يطبع هذه البيئة من سمات ومميزات هذا ما تجلى واضحاً في الشعر الأندلسي.

وعليه تصبح دراسته دراسة شيقة وغنية لذلك فإن دراسة الأدب الأندلسي الذي عنى بدراسة الزهريات والنوريات يعد من أمتع أنواع الدراسة « ولقد تأثر شعراء الأندلس بما حوته بيئتهم من مظاهر في الطبيعة واتجاهات في السياسة وبما أفصحوا عن تأملاتهم وأفكارهم وما سيطر من ظواهر على مجتمعهم وكان تأثرهم بالطبيعة أشد وأقوى فللطبيعة أثرها الواضح في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي غنى لها الشعراء وتغنوا بها ووقفوا أمام مختلف مجاليها ووهبوها أحساسيهم مستجلين جمالها متأملين روائعا في السماء والماء وفى المراعى الخضر والجنان الزهر وفى الصحراء القاحلة والمزارع الناظرة ووصفوا حر الصيف وزمهرير الشتاء واستقبلوا الربيع الضاحك» [1]،

والحديث عن جمال الأندلس وطبيعتها يحوى الكثير والكثير« إن بأرض الأندلس من الخضب والنضرة وعجائب الصنائع وغرائب الدنيا ما لا يوجد مجموعه غالباً في غيرها» [2].

1- سعد إسماعيل شلبي ، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، دار نهضة مصر، القاهرة، ص 67

2- الأمير شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والأثر الأندلسية، دار الحياة، بيروت، 1355هـ، ج1، ص 229.

وبما أن المناظر البديعة الجميلة هي وحدها من خلق الله تعالى وتفضله على عباده وبما يلهم به الإنسان وعقله فقد اهتم الولاة الأندلسيين أشد الاهتمام بالبلاد وبالطبيعة واهتم أصحاب الشرطة بالرياض والبساتين حيث بني الناصر مدينة الزهراء وهي «مدينة عظيمة مدرجة البنيان، مدينة فوق مدينة، سطح الثلث الأعلى يوازى على الجزء الأوسط وسطح الثلث الأوسط يوازى على الثل الأسفل، وكل ثلث منها له سور، فكان الجزء الأعلى منها قصوراً يقصر الوصف عن صفاتها، والجزء الأوسط بساتين وروضات والجزء الثالث فيه الديار والجامع» [1].

ولقد سمى المنصور بن أبي عامر بناته بأسماء الزهور[2]، أما عبد الملك بن أبي عامر بن أبي المنصور فعبّر عن حبه للزّهريات حينما نظم شعرا في الربيع، حيث يذكر الخيرى والزهر وفى أنواع النواوير المختلفة[3]، فحينما تناظر السماء بهيبتها والأرض بصلابتها والماء بعذوبته والجبال بثقلها والكون بنوره وزهوره، كل هذا يدل على وحدانية الله تعالى.

وكما استخدم الشعراء النواوير في التعبير عن وحدانية الله بتفرد النواوير بالصفات الجميلة والألوان الزاهية، وظفوها أيضاً في التعبير عن الجمال الذي هو يخص جمال الوجه أو جمال الرياض والحدائق وعبروا به عن حبهم لمحبيهم سواء أكان الغرض من هذا التعبير عن الحب مدحاً أو غزلاً أو وصفاً وكذلك قد دخلت النواوير في شعرهم للتعبير عن القلق والخوف.

1- الإدريسي، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، إعداد وتعليق عبد القادر محداد، دار الرائد العربي، بيروت 1980، ص 212 .

2- ينظر: ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج 4 ص 33 .

3- ينظر: ابن عذارى. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج س كولان، ليفبروفنسال، مطبعة دار الثقافة، ج3 ص 18.

وفي هذا الفصل أتناول التعبير عن كل فكرة من هذه الأفكار عن طريق أربعة مباحث، ولعل أهم النواوير التي ورد ذكرها في هذا الفصل هي الآس والياسمين والبهار والبنفسج والخيري النمام والنرجس الأصفر والورد وسوف أتناول تعريفاً مبسطاً عن كل نوع من هذه النواوير.

أولا: دلالة النّوريات ولزّهريات على بديع صنع الله

اهتم الشعراء، والتفتوا لبيئتهم الجميلة المحيطة التي خططت بتخطيط هندسي بديع من الله سبحانه وتعالى وجه به عقول أبناء هذه الأمة إلى أن يبدعوا إبداعاً في العمارة والفنون بكافة أنواعها، والاعتناء بالحدائق وتزيينها، مما انعكس على الشعراء فجعلوا من الوصف غرضاً من الأغراض التي تحدثوا عنها حيث « أضفت الحضارة الجديدة الوافدة على الأندلس من الرقى ما جعل سكانها يحافظون على روح الجمال الطبيعي في بلدهم وينمونه ويزيدون فيه، فأصبحت الأندلس أغنية عذبة في فم الشاعر ينشدها وهو بين ظهرانيها، وأنشودة ساحرة يرددها إذا لوعه شوق الاغتراب عنها »[1]، ومما سبق نستدل على قدرة الله تعالى في خلقه فهو سبحانه وتعالى تتجلى عظمته في جميع مخلوقاته في تلك الزهرة الصغيرة التي هي ما زالت برعماً ناعماً في جمالها في شدة روعتها وفى حسن تفاصيل خلقها وتكوينها في أدق التفاصيل التي تتعلق بها، فالنواوير ليست واحدة وتختلف اختلافاً من واحدة لأخرى فتلك صفراء وأخرى خضراء وغيرها بيضاء وحمراء وبالطبيعة فإن تأثر الشعر بكل هذا شئ طبيعي « الشعر العربي لا يختلف عن أشعار الأمم الأخرى فقد نما وازدهر منذ طفولته في أحضان الطبيعة وقد كان صدى عميقاً لهذه البيئة العربية في أيام خصوبتها أو جدبها فالطبيعة هي ملاذ الإنسان وصدره الحنون متى ما ضاقت نفسه

1- أبو عودة، نادية صالح راشد، وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي في عصر الخلافة، ص 11.

اتسع في حضنها له»[1]، ومن الأمثلة التي يحتذى بها في الدلالة على وحدانية الله عز وجل أبو نواس في هذا الباب([2]):

تأمل في نبات الأرض وانـــظر إلى آثار ما صنع الملــيك

عيون من لجين شاخصات بأحداق كما الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهداتٌ بأن الله ليس له شريــك

اتخذ الشاعر أبو نواس الأزهار فرصة لتعظيم الخالق ومناسبة للتأمل في بديع خلقه، حيث تتجلى عظمة الإله الواحد الأحد في كل جزء من أجزاء الطبيعة وقد تأثر الشعراء الأندلسيون وكان هذا الشعر أنموذجا أو صورة كاملة في توحيد الله عزوجل استقى منه الأندلسيون نظرتهم وفي هذا الصدد **قال ابن حزم الأندلسي:** [3]

تدبر من الباني على الأرض سقفهـا وفي علمها معمورها وقـــفارها

ومن صير الألوان في نور نـــبتها فأشرق فيها وردها وبـــــهارها

فمنهن مخضر يروق بـــــصيصه ومنهن ما يغشى اللحاظ احمرارهـا

ومن رتب الشمس المينر ابيضاضها غدواً ويبدو بالعشي اصـــفرارها

في هذه الأبيات دعوة إلى التأمل في خلق الله في الأرض، وفي بديع الأنوار والأزهار، المختلفة الأشكال والألوان، من الأخضر والأحمر والأبيض والأصفر، كلها في تناسق وتمازج كوني لا اختلال ولا نقص ولا عيب فيه، وفي نفس السياق يرى

1- وفاء عزيز، صور الزهريات في شعر الصنوبرى، ص5.

2- أبو نواس، الديوان، تح: بهجت عبد الغفور الحديثي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، ط1، 2010، ص 715.

3- ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة، في الألفة والألاف، تح: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، مصر، ط5، 1994، ص191-192.

الشاعر أبو عامر بن مسلمة في صورة يبدي فيها عجيب خلق الله عز وجل وبديع صنعه قائلا([1]):

وسوسن راقٍ مرآه ومخبره ... وجل في أعين النظار منظره

كأنه أكؤس البلور قد صنعت ... مسدساتٍ تعالى الله مظهره

وبينهما ألسن قد طرفت ذهباً ... من بينها قائمٌ بالملك تؤثره

كأنه خلاق ميمٍ في تعقفه ... مداده ذوب عقيانٍ يصفره

افتتن الشاعر بصورة السوسن جمالا وجلال في أعين الناس ينير كالبلور متناسق ومنسجم ليبهر الرائي إليه من هذا الجمال. وقال **ابن دراج القسطلي**([2]):

وهذا بَشيرُ الربيع الجديد ... يُبَشِّرُنَا أَنَّهُ قَدْ قَرُبْ

بَهَارٌ يَروقُ بِمِسْكٍ ذَكِيٍّ ... وصُنعٍ بَديعٍ وخَلْقٍ عَجَبْ

غصونُ الزَّبَرْجَدِ قَدْ أَوْرَقَتْ ... لَنَا فِضَّةً نَوَّرَتْ بالذَّهَبْ

انبهر ابن سراج بنور البهار الذي بشر بقدوم الربيع، ليتضوع بنفح زكي يدل على بديع صنع الباري، وغصون الزبرجد قد أورقت وأخضرت لتبدو كأنها فضة مجلوة من جمالها وبهائها وفي نفس الصدد قال في الورد([3]):

قد جاء بالنارنج من أغصانه ... وبخجلة المعشوق من وجناته

وكساه مولانا غلائل سيف ... يوما يسربله دماء عداتهأ

من بعد ما نفخ الحيا من روحه ... فيه وعرف المسك من نفحاته

إن كان أبدع واصف في وصفه ... فلقد تقاصر عن بديع صفاته

1- هنري بيرس، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ترجمة طاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1988، ص 157.

2- ابن دراج القسطلي، الديوان، تح: محمود علي مكي، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق، سوريا، ط1، 1961، ص 138.

3- ابن دراج القسطلي. الديوان. ص 141.

وثمرة النارنج – وهي عالقة على أغصانها الطرية– تُمْتِع النظر، وتستولي على الفؤاد، كما استولت على لب الشاعر خلع الشاعر على النارنج أحاسيس إنسانية وقيماً وجدانية فالنارنج قد جاء خجولا متشوقا ما يظهر جمالها وروعة الخالق في بديع صنعه الذي يحيل إلى روعة الخالق وعظمته جل وعلا.

وقال أيضا[1]:

فَسَلْ أزاهيرَ رَوضِ الحُسن غِبَّ نـدىً هَلْ نَبَّهت وَقعاتُ الطَّلِّ عينَ عَمِ

في كُلِّ حُسنٍ لهُ مَعنىً تشاهدُه عينُ الصَّفِيِّ وقلبُ الحاضرِ الـــفَهِمِ

وأما اختلاف الروائح فحدث عنها فزهر البنفسج رائحة غير الياسيمن غير الآس، فكل نوارة تختص بما يخصها برائحتها وشكلها وجمالها وطلتها وحضورها، في ذلك نرى عظمة الله سبحانه وتعالى تتجلى لعباده في مخلوقاته حتى إن أمعنت النظر فيها تأملتها مطولاً ثم دون أن تدرى تجد نفسك توحد الله سبحانه وتعالى في بديع خلقه وعجائب قدرته ألا يستحق ذلك كله أن نتأمل فيها وأن يجعلنا ذلك نتقرب له أكثر ونؤمن به أكثر، فلا بشر لديه القدرة على صنع مثل هذا الجمال فسبحان من جعل التأمل غرضاً نصل ونستدل من خلاله على وحدانية الله تعالى وعلى جزائه وعطائه لعباده الصالحين الموحدين له سبحانه وتعالى «فروح وريحان وجنة نعيم»[2] سورة الواقعة الآية 89.

ثانيا: دلالة النوريات على الحب

تمثل الأزهار بدلالاتها ذلك الحنان بلا حدود، والصدق والوفاء بلا قيود، تترجم أحرف الأشواق على شفاه العشاق، وبسمات الأمل في قلوب المحبين والشعراء فهي

1 - ابن خاتمة الأنصاري، الديوان، تح محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر، 1994م، ص 193.

2– سورة الواقعة. الآية 89.

رسلوهم في الألفة والمحبة، وللتعبير عن مشاعرهم وعواطفهم ومعاطفهم وفي ذلك قال **المعتمد بن عباد** بلغة الحب والأزهار [1]:

وليل بسد النهر لهوا قطـــــعته بذات سوار مثل مـــــنعطف البدر

لفت بردها عن غصن بأن مــنعم نضير كما انشق الكمام عن الزهر

يلفت الشاعر القول عن تلك العاطفة المتجيشة في قلبه جراء لقائه بمحبوبه وفتنته به في ليله قرب نهر فكانت تلك اللقيا مع المحبوبة كأنها الأكمام المنشق عن الأنوار بجمال وعذوبة تلفت إليها العيون والمقل وفي دلاله النوريات عن الحب، حيث قال أبو **الفضل الدارمي التميمي**[2]:

يزرع وردا ناضرا ناظري في وجنة كالقمر الطالع

أمنع أن أقطف أهــارها في سنة المتبوع والتابع

فلم منعتم شفتي قطفها والحكم أن الزرع للــزارع

وتعد هذه حيلة من حيل الفتوى الفقهية الغرامية، والتي تحتمل عدة إجابات وتأويلات مع احتفاظها بالإيقاع، وفق حوار عاطفي تغلبه عبارات الحب ومعانيه ووسائطه، كالأزهار، والأنوار، والألوان المختلفة.

أما أبو القاسم بن شبراق يصف وردة تتفتح قائلاً إن الوردة تخجل إذا ما نظرت إليها العيون هذا الخجل تراه واضح في حمرة أوراقها الجميلة، وردة قد جعلت دموعي تنزل شوقاً لحبيبتي التي خدها مثلها مقترن بالجمال والاحمرار والحياء فيا وردة يقر لها الدهر بالكرم منبتك الغصون والرياض الجميلة تستر عن العيون حياءها الشديد أما عرفها الجميل الذكي يملأ المكان سكون تستر وجهها الجميل ببرقعها وتستقبلنا

1- المعتمد بن عباد. الديوان. ص 68.

2- المقري، نفح الطيب، ج 3 ص 112.

بكل فتنة وفن مثل الفتاة الخجولة التي ترتدي البرقع حتى لا يُرى وجهها الجميل، قال[1]:

خجلت إذ تأملتها الـــــعيون	**خجلاً في احمرارها يـــــستبين**
وردة وردت دموعى شـــــوقاً	**للتى خدها بها مـــــــقرون**
بنت غصن يقر بالكرم الدهـــر	**لها فى رياضها والـــــغصون**
واستسرت عن العيون حـــياء	**وعرا عرفها الذكى ســـــــكون**
سترت وجهها ببرقعها واســـ	**ـــــتقبلتنا من الفتون فـــنون**
كالفتاة الحيية انتقبت كـــــي	**لا يرى وجهها الجميل المصـون**

ثالثا: دلالة النوريات على الجمال

ولما « وهب الله الأندلس طبيعة ساحرة ووافرة جمالاً جبالها الخضراء وسهولها الجميلة وتغريد طيورها على أفنان أشجارها كان ذلك له أثره في جمال الأندلس التي شغفت بها القلوب وهامت بها النفوس ومن هنا نجد تعلق الأندلسيين بها يسرحون النظر في خمائلها وأخذ الشعراء والكتاب ينظمون دراً في وصف رياضها ومباهج جنانها»[2].

فشعر الطبيعة هو الذي يمثل بعض ما اشتملت عليه في جو طبيعي يزيده جمال وخيال الشاعر كما نلاحظ فى هذه الأبيات نرى أقمار النرجس فى رياضنا بخلاف السماويات يطاولن الشموس يقول الفقيه أبى عثمان بن البر اسقنى روح النفوس أي الخمر واجعلني أذوق انسها وهل علينا شمس الشموس ببدرها أى الخمر برغوتها البيضاء الشهباء وأقبل علينا بكاسها الذي يبعث في القلب المسرة، قال[3]

1- إحسان عباس. المرجع السابق، ص 128.

2- المصاروة، ثامر إبراهيم، الطبيعة في الشعر الأندلسي، مدونة إيلاف، ط1، 2009، ص 89.

3-يوسف عيد. المرجع السابق. 104

ألا سقنى روح النفوس وأنســـــها ولين بماء المزن فى المزج مسها

وشعشع لنا شمس الشمول ببدرها وأجر علينا بالمسرة كـــــــأسها

فأنت ترى أقمار نرجس روضـــنـا خلاف السماويات جاوزن شمسها

محاسن لو وافت أخي العلا باقـلا إذا بز سحبان البرايا وقـــــــسها

و للوزير أبي عامر بن مسلمة قطعة غريبة التشبيهات، عجيبة الصفات، قائلاً: لقد جاء الربيع، الذي منظره رائق، فهذا النرجس الذي تعلو قامته، ويتجل في حسنه عن أي رفعة، كأنه عين تشكو قلة نومها، وهجوعها كأنها كف كافورة جاءت بكأس تبر إلى الربيع أو كأنه شعلة نار في وسط الماء جسد من ثوبه النصوع أي ثوب ناصع اللون، قال[1]:

قد جاءنا رائد الـــــربيع بمنظر رائق بـــــديع

هو البهار الذي تـــــعلى وجل في حسنه الرفيع

كأنه مقلة تشـــــــــكى إلى الحيا قلة الـهجوع

أكف كافورة قد أومـــــت بكأس تبر إلى الــربيع

أو شعلة النار وسط مـاء جسد من ثوبه النصوع

أما ينشد قائلاً أما ترى الرياض دبت فيها الحياة فبدا النرجس الجميل ملحوظ الوجود منذ أشرق الربيع وحلت الحياة فيه مثل العيون التى رنت أشفارها دراً لكن أناسيها صفراء مثل اليواقيت، يقول أبو جعفر بن الآبار[2]:

أما ترى الروض راضاه الحيا فبدا للنرجس الغض فيه لحظ مبهوت

مثل العيون رنت أشفارهـــا درر لكن أناسيها صفر اليـــــواقيت

2 – فوزي سعد عيسى. شعراء أندليون منسيون. 217، المصدر نفسه، ص 105.

2– الركابى، جودت، المرجع السابق، ص 108.

- دلالتها على جمال المرأة:

لطالما ارتبطت الأزهار عبر العصور بجمال المرأة ورقتها وعواطفها حتى اقترنت الأزهار بأسماء بعض النساء كالسوسن والوردة وصفاتها الجميلة، قال ابن خفاجة[1]:

الروض وجه أزهر والظل فرع أسود والماء ثغر أشنب

واصفا جمال معشوقته وقد جسد هذا الجمال في الطبيعة وهذا فيه إشارة لأهم رمزيات الطبية في الشعر الأندلسي وهو تجسيد المعنويات في الطبيعة الصامتة وإن نخص في هاته الدراسة الزهرة دون غيرها من الطبيعيات فنبرز أهم تجلياتها في الشعر الأندسي، قال ابن خفاجة[2]:

أَلَم يُسَقِّيَني سُلافَةَ ريـــــــقِهِ وَطَوراً يُحَيّني بِآسِ عِذارِ

فَنِلتُ مُرادَ النَفسِ مِن أُقحُوانَةٍ شَمَمتُ عَلَيها نَفحَةً لِعَرارِ

ويظهر جليا من هذا البيت كيف عبر الشاعر عن محبوبته فرمز لها بالأقحوانة دون التصريح بإسمها، فقد اكتفى بتلميح لها، وقوله أيضا[3] :

وَاللَيلُ مُشمَطُّ الذَوائِبِ كَـــــبرَةً خَرِفٌ يَدُبُّ عَلى عَصا الجَوزاءِ

ثُمَّ انثَنى وَالسُكرُ يَسحَبُ فَرعَهُ وَيَجُرُّ مِن طَرَبٍ فُضـــولَ رِداءِ

تَندى بِفيهِ أُقحُوانَةُ أَجـــــرَعٍ قَد غازَلَتها الشَمسُ غِبَّ سَماءِ

وَتَميسُ في أَثوابِهِ رَيـــــحانَةٌ كَرَعَت عَلى ظَمَإٍ بِـــجَدوَلِ ماءِ

نَفّاحَةُ الأَنفاسِ إِلّا أَنَّـــــــها حَذَرَ النَوى خَـــــفّاقَةُ الأَفياءِ

1- ابن خفاجة، الديوان. ص289.

2- المصدر نفسه، ص 110.

3- ابن للبانة الداني الديوان، تح: محمد مجيد السعيد، دار الراية، عمان، الأردن، ط2، 2008، ص 65.

ثم نرى ابن خفاجة يجنح عن التصريح لتلميح واصفا ليله معطيا إياه تلك الصورة الفنية المنقطعة النظير متغزلا بمعشوقته معبرا عنها في قصيدته بالريحانة والأقحوانة دون التصريح باسمها فهو يصفها من خلال وصف الزهرة وكأنه يُجسد محبوبته في الزهرة وقد حضيت المرأة من النصيب الأوفى في الوصف والذكر فكانت لطالما هي التي يُرمز لها وشاعر الطبيعة يرى في المرأة ظلها وجمالها فقد وصفوا المرأة بالجنة والشمس , بل إنهم ((إذا تغزلوا صاغوا من الورد خدوداً ومن النرجس عيوناً ومن السفرجل نهوداً ومن قصب السكر قدوداً ومن قلوب اللوز وسرر التفاح مباسم ومن ابنة العنب رضابا)).([1])

وكانت رمزية الزهريات أبلغ ماقيل في الغزل لمشابهة المرأة لزهرة في جمالها ورقتها وعذوبتها وحسنها وبهاء منظرها فكانت جلاء الهموم عن النفوس، قال ابن للبانة الداني[2]:

والورد تحت الظل فيه مـشبـه خدا يذوب من الحياء فيقطر

وكأن نرجسها أصيب بروعتي فعلاه لون مثل لوني أصـفر

فكأنما الريحان روحي كـــلما تتغير الأشياء لا يـــــتغير

فنرى جليا رمزية المرء عند ابن نباتة فهو يصف معشوقته ونفسه في موكبٍ زهري مهيب جزل اللفظة متين الأسلوب فيرمز لمحبوبته بالورد والنرجس ويرمز لنفسه بالريحان وكأن قصة حبهما حديقة من الزهور

1 – جودت الركابي. في الأدب الأندلسي. 132 – 133، نقلا عن المقري. نفح الطيب. ج1 ص 223.

- دلالتها على جمال العمران والقصور:

كان للقصور مكانة ونصيبا من النوريات والزهريات، التي زينت أروقتها وأفنيتها، فكانت علامة على الجمال بألوانها وعطورها، ما شد قريحة الشعراء لهذا الجمال الذي ارتبط بالأزهار وكانت علامة له وفي هذا قال **المعتمد ابن عباد**[1]:

فَيا لَيتَ شِعري هَل أَبيتنّ لَـــــيلَةً أَمامي وَخَلفي رَوضَةٌ وَغَــديرُ
بِمُنبَتَةِ الزَيتونِ مورثةُ الـــــعُلى يُغَنّي حَمامٌ أَو تَرِنُّ طُـــــيورُ
بِزاهِرِها السامي الذُرَى جادَهُ الحَيـا تُشيرُ الثُرَيّا نَحوَنا وَنُـــــشيرُ
وَيلحُظُنا الزاهي وَسعدُ ســـــعودِهِ غيورَينِ وَالصَبُّ المُحِبُّ غَيـورُ
تُراهُ عَسيراً أَو يَسيراً مَـــــــنالُهُ إِلّا كُلّ ما شاءَ الإِلَهُ يَـــــسيرُ

ولقد كان المعتمد يتردد على قصر أبيه الزاهر ثم أقام قصرا أخر وعمد إلى تزينه وتلوينه بأنواع من الأزهار لتكون شاهدة على هذا الجمال والأهبة والفتنة المتجلية في روعة الطبيعة وعناصرها.

وتغنى أبو الفضل بن شرف بجمال مدينة **برجة** وهي ضيعة في أقليم **المرية** تحدق بها الازهار والأنوار والأشجار الكثيفة[2]{بحر المتقارب}:

إذا جئت برجة مستوفزا فخذ في المُقام وخلِّ السفرْ
رياض تعشقها سنــدس توشت معاطفـــها بالزهــر
مدامعها فوق خدي ربا لها نظرة فتنت من نظـــــر
وكل مكان بها جـــــنـة وكل طريق اليهـــــا ســقـر

1- ابن بسام الذخيرة. المرجع السابق. ص 75.

2 ابن ابن شرف القيرواني. شعره. جمع وتقديم ودراسة أشرف محمود نجا. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. الإسكندرية. ط1. 2008. ص 61.

أما ابن دراج القسطلى يقول في مدح المظفر بن أبى عامر، يقول لقد دعيت إلى الشرب فاصغ لداعي الطرب ولقد طاب لك الدهر فاشرب وطب وتباشير الربيع الجديدة قد جاءت وحلت فالبهار أي النرجس حلوملئ برائحته الكون فانظر إلى صنيع الله سبحانه وتعالى أما الغصون فقد أورقت لنا فضة تلمع نوراً مثل الذهب إذا جمعت مع بعضها في حبال لأصبحت كالحرير الذي تراه يلعب أمامك فمن حقها إذن أن ترى الشاربين حتى كان من حقها أن ترى هذا الملك المليك الذي أينعت في عصره فبسبب شمائله طاب لنا العيش وألف، قال[1]:

دعيت فاصغ لداعي الطـرب وطاب لك الدهر فاشرب وطب

وهذا بشير الربيع الـــجديد يبشرنا أنـــه قـــــــد قرب

بهار يروق بمسك ذكـــــى وصنع بديع وخــلق عجـــب

غصون الزمرد قد أورقـــت لنا فضـــة نورت بالذهـــب

إذا جمعت فى حبال الحريــر وقـــامت أمامك مثل اللــعب

فمن حقها أن ترى الشاربيـن وقد نفقت ســـوقهم بالنخب

ونيسألوا الله طول البـــقــاء لعبد المليك مـــليك العـــرب

فلولا مجالسه لم تـــــرق ولولا شمائله لم تطـــــــب

وله أيضاً مقطوعة كتب بها إلى أبى وقاه الله قائلاً يا أيها الشخص الذي ما زال جوده موجوداً يظهر كما يظهر ضوء النهار يا من استخدمت أموالك استخداماً جعل القطار يخرج عن مساره أرسلت إليك نويرات البهار الصغيرة مثل الفضة المحاكاة فهي كالدر الذي ينسل منه ياقوتات فاقعة الاصفرار أو كالماء الذي يجرى إذا تأملته مثل ضوء النار فهو ناهر باهر فعوضاً عن ذلك باسم البهار كما انبهر

1- العناني، زهر، المرجع السابق، ص 104.

بك العلى فألبست البدر ثوب السرار فإنك تسد حاجة كل محتاج وتقيه صروف الردى لأنك تدار في كل أمر مدار، قال[1]:

أيا ماجداً لم يزل جـــوده يلوح كما لاح ضوء النـــــهار
ويا من أحل بأمـــــواله سماحاً أخل بصوب القـــطار
بعثت إليك بنور البـــهار حكى فضة حول محض النضـار
هو الدر نظم من بـــينه يواقيت فاقعة الاصـــــفرار
أو الماء صير من فـــوقه إذا ما تأملته ضـــوء نـــــار
نهار ولكنه بـــــاهر فعوض من ذلك باسم البـــهـار
كما بهرت منك سيما العلى فألبست البدر ثوب الســـــرار
بقيت ووقيت صرف الـردى فإنك في كل أمر مـــــــداري

فنرى أبى بكر بن القوطية يقول زمرد أورقت أغصانه دراً فغدا كالراحة البيضاء منشقاً يقولوا عنه ياقوتة صفراء فاقع لونها مثل التبر الذي يجرى فوق الفضة هو مثل النهار هناك من يدعوه بالبهار أي النرجس ودعوه بالبهار حتى يهجنوه وقد حوى قصبات السباق إذا بهرا مثل مقلة دب خالطها النوم فدنقت لكنه لم يذق مع ذلك طعماً للنوم، قال[2]:

زمرد أورقت أغـــصانه دررا فراح كالراحة البيضاء مـــــنفطرا
يقل ياقوتة صفراء فـــــاقعة كأنها التبر من فوق اللجين جـرى
هو النهار ولكن رد نـــقطته مكيدة تحته النوار إذ وغـــــــرا
ثمت دعاه بهاراً كى يـــهجنه وقد حوى قصبات السبق إذ بـــهرا
كمقلة دب في أجفانها وسن فدنقت غير أن لم يدر طعم الكـرى

1- عيد يوسف، مرجع نفسه، ص 105.
2- المصاروة، ثامر إبراهيم، المرجع نفسه، ص 106.

وله أيضاً قطعة بعث بها إلى الوزير أبى عامر بن مسلمة قائلاً يا أيها البهار بلغ ريحانة العلا والمكارم أي الوزير أبى عامر بن مسلمة الكريم ابن الأصول وابن الكرام لقد بعثنا إليك يا خير ناش بالدنانير فوق الدراهم بعثنا لك بهاراً يحكى جمالك وحسنك وحكى رائحتك الجميلة الطيبة التي نتنسمها نشتكى الظمأ لكن يدك فيها الروى من العطش فإذا لم ترو فأنت ظالم أدامك الله للمهرجانات والأعياد والنيروز سالماً من دون أي حوادث، قال[1]:

قل لريحانة العلا والمـــــكارم والكريم النجار وابن الأكـــارم
قد بعثنا إليك ياخير نـــــاش بالدنانير فوق محض الـدراهم
لم يسس طبع هذه جعفر قـــ ــط ولا ضرب تلك راحة قـاسم
ببهار حكى جمالك حـــــسنا وحكى عرفك الذكى لناســـم
يتشكى الظما وفى يدك الـــر ى فإن لم تروه كنت ظـــالم
دمت للمهرجان والعيد والنــي ــروز إلفاً من الحوادث سالم

فرد عليه الوزير أبو عامر بن مسلمة بديهة بأبيات تشاكلها براعة وتشابهها براعة قائلاً في النرجس الطري الجميل شبه للاخفاء به للأشخاص النيرين لا يراه إلا من طلعه زاهر فصفرة الشمس أعطته من صفارها وقد أخذ مسحة من بيض القمر كأن ياقوتة صفراء طبعت في أغصانه لونها حولها ست من اللؤلؤ فهذا الحسن لا يدل إلا على إتقان صانعه فسبحان الله مبدع الأخلاق والصور، قال[2]:

في النرجس الغض شبه لاخفاء به للنيرين يرى في طالع الزهـــــر
فصفرة الشمس قد ردته صفرتـــها وقد مبيضه من صفحة الـــقمر
كأن ياقوتة صفراء قد طـــــبعت فى غصنه حوله ست من الدرر

1- المصاروة، ثامر إبراهيم، المرجع السابق، ص 106.
2- فوزي سعد عيسى. شعراء أندلسيون منسيون. 210،

حسن يدل على إتقان صانعـــــه سبحانه مبدع الأخلاق والصور

ولأبي عامر بن مسلمة أيضاً قطعة موصوله يمدح فيها ذي الوزارتين قائلاً أرى في البهار النرجسي لمعانا كاللؤلؤ فالعيون تهيم به فكأن لباسه صاغ من الحدائق الخضراء بشكلين من ماء الغمام وراحة أو أراده الدهر سروراً بشخصه فأعطاه من مسائه وصباحه فحلته ذهبية اللون أذا إذا عقد وشاحه فتصبح فضية اللون فهو الجمال الذي حل به علينا الربيع وأتى ومنه نكتسى بنوره الجميل فكأنما الدهر قد تحلى وتجمل بعد عطلة بجود ابن عباد وفضل سماحه فبه تنال الآمال وبوشر برد الأمن تحت جناحه فوصف الطبيعة « يوثق الصلة بينه وبينها فشعر بالبشر يحيط به عندما يحل في مغانيها وإذا بها ذات جمال ودلال وبهاء»[1]، وهذا ما نراه متضحاً في أشعار من أحبوا وتغنوا بشعر الطبيعة، قال أبو عامر بن مسلمة [2]:

أرى في البهار النرجسي تـــلألؤا عيون الورى مشغوفة بالتماحه

كأن الرياض الخضر صغن لباسه بشكلين من ماء الغمام وراحــة

أو الدهر راده سروراً بشـــــخصه رداءين من إسفاره وصـــــباحه

فـحلته فـــي لونهـا ذهـــــــبية وفضية اثناء عقد وشـــــاحه

جمال به حل الـــــــربيع عـــراراه ومنه كسى لا شك نور أقــاحه

كما قد تحلى الدهر من بعد عطلة بجود ابن عباد وفضل سـماحه

به نيلت الآمال في كل بـــــــغية وبوشر برد الأمن تحت جـناحه

أما الوزير الكاتب أبى الأصبغ بن عبد العزيز قطعة أغيت في الجمال فأعيت أهل الكمال موصوله بمدح الحاجب يقول وبنفسج أي زهر البنفسج وهو جنس نباتي ينتج أزهاراً بنفسجية أو بيضاء اللون ويوجد منه 400 نوع مختلف حول العالم» ظهر

1- الركابى جودت، في الأدب الأندلسي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1960، ص 124.

2- المرجع نفسه، ص 107.

هذا الزهر على الربى منيراً وأعطانا عطراً بلا عطار فكأنما هو متوسط حجز الفيروج الجميل أما بساطه فهو الأشجار الخضراء يأتي في وقت الزيارة قائماً وقد انحنى لما أتاه الوحي بأسراره هو مثل المسك الذلى خلق بأوراق لونها سبحانه من صنع الجبار أو هو رقعة زرقاء من كبد السماء في يوم صحو أصبح فتنة للأنظار أو هو مثل الحسناء التي تحسب وسطها للزعفران مواضع الآثار أو هو لجة كحلاء هزتها الصبا فتكسرت بمقدار لينا وكل هذا يصف البنفسج وجماله ويعدد التشبيهات في حسن نور البنفسج ثم يمدح الممدوح قائلاً أنه مثل الدرع الذي ينبرى للفتك بالكفار فهو يملك قلب أسد بين ضلوعه أما وجهه فهو قمر من الأقمار إذا ظهر في الصبح داج مظلم أما إذا عفا فالليل في إسفار، قال[1]:

وبنفسج أربى على النـــــــوار وأفادنا عطراً بلا عـــــطار
فـــكأنما أعـــــلام فـــى فيروزج وبساطه فى خضرة الأشجار
وافاك في وقت الزيارة قـــــائماً وقد انحنى للوحى بالأســرار
هو مسكة خلقت لها أوراقـــــها فى لونها من صنعة الـجبار
أو رقعة زرقاء من كبد الســـما فى يوم صحو فتنة النــظار
أو لمة الحسناء تحسب وسطها للزعفران مواضع الآثـــــــار
أو لجة كحلاء هزتها الصـــــبا فتكسرت ليناً على مـــــقدار
أو درع حاجبنا أتته صـــــقيلة وقد انبرى للفتك بالـــــكفار
ملك قلوب الأسد بين ضـــلوعه وبوجهه قمر من الأقـــــمار
فإذا سطا فالصبح داج مـــظلم وإذا عفا فالليل فى إســـفار

أما أبو عامر بن مسلمة كتب إلى ذي الوزارتين أبى أيوب بن عباد قائلاً [2]:

1- الركابى جودت، في الأدب الأندلسي. ص 109.

2- فوزي سعد عيسى. شعراء أندلسيون منسيون. 203 .

يامن تـــحلى بـــــه الفـــخـ	ـــر والسناء يـــتوج
ومن بـــــجود يـــــــــديه	باب الغنا غير مرتج
إذ انتشيت فـــــــــــعرج	على رياض البنفسج
تجد به روض حـــــــــسن	فى ثوب أرض مدبج
فثم فاعكف وبـــــــــاكر	مدامة تـــــــتوهج
تـــــرى زمـــــــــــرداً أرض	منه اليواقيت تـــنتج
كأنه لجة البحـــــــــــــر	غاض فيها مـــلجج
فاخـــــــرج الـــــزرق لـــكن	بغيرها لم يـــــــعرج
حـــــــكى حســـــــــام أبى	أيوب الـــــــمتضرج

يرى الشاعر بأن ممدوحه مثال للفخر والسناء تاج على رأسه ومن هو كريم وكرم يديه باب غير مغلق ومن بطيب ثناه نار العلا تتأجج إذا انتشيت فكأنما مر على رياض البنفسج تجده فى ثوب

حسن ويمشى في أرض حسنة مدبجة فتراه في الأرض زمرداً تخرج منه اليواقيت كأنه لجة خاض فيها البحر ملجج فأخرج الزرق لكنه لم يعرج على غيرها يحكى عن سيف أبى أيوب المتضرج.

وللفقيه أبو الحسن بن على اخترع موصولاً بمدح ذي الوزارتين أبى عمرو عباد يقول يا حبذا نور البنفسج ويا جمال منظره البديع المبهج فهو كالحياة للمريض أما عطره ونسيمه ومنظره فهو يؤنس المتيم أما نوره فهو كالغصن في الصدر لمن يحب أن يختلس النظر وينظر ويراقب فحمر اليواقيت وصفرها متآلفين يحكوا عن لونه

المتلطخ فلو نظمته الحاليات لأشرقت وأينعت جواهره في كل قرط ترتديه النساء فمحاسنه من حسن عباد الرضا أما لألاؤه فهي وجهك المشرق المضئ، قال[1]:

ألا حبذا المحبوب نور البنفسج وأحبب بمرآه البديع وأبهج

حياة وروح للعليل نسيمه ومنظره أنس المتيم والشج

ونواره كالغصن في صدر أغيد لمختلس سهو الرقيب ومدمج

وحمر اليواقيت الوضاء وصفرها تألفتا في لونه المتضرج

فلو نظمته الحاليات لأشرقت جوهره في كل قرط ودملج

محاسنه من حسن عباد الرضا ولألاؤه من مجهه المتبلج

وله بيتان يقول إذا ما نواوير البنفسج ظهرت وطلعت فهي في الأرض مثل الجواهر المنثورة فرأيت السماء توشحت درع خضرة عليها نجوم طوالع مثل المسك، قال[2]:

إذا ما نواوير البنفسج أطلعت جواهرها في الروض نثراً بلا سلك

رأيت سماء وشحت درع خضرة عليها نجوم طالعات من المسك

ولأبي جعفر بن الآبار له قطعة جيدة مدح فيها الحاجب المنصور قائلاً لقد أتى الزمان بمدامة لم تولد ولم يأتي لها مثيل من قبل أفلا ترى فم الثرى باسماً ضاحكاً لك عن مراد مونق أي مرتب أنيق فهذا هو البنفسج يملئ الرياض كأنه من شدة جماله وتناسقه مثل أجنحة الفراش المتآلفة الجميلة المتناسقة والفراش معروف بجمال ألوانه وتناسقها فهذه الرياض الجميلة يظل المرء متعبداً سارحاً متأملاً في جمالها وشدة حسنها مثل بني عباد الأعلياء الشرفاء فتزهى بهم المحافل والجحافل دلالة على شدة شجاعتهم وكرمهم وطيب أصلهم ثم يكمل ثناءه على الحاجب قائلاً

1- الركابى جودت، المرجع السابق، ص 110.

2- الركابى جودت، المرجع نفسه، ص 111.

الحاجب المحجوب ويصفه بالصفات الجميلة كطهارة عرضه وكرمه فهو مثل الجواد أي سريع إلأى الكرم ثم يقول سيوفه الصلبة الشديدة وحدتها تفتك بأعدائه أما رمحه فيلبس المشركين ثوب الحداد على من فقدوا من أحبائهم وهذا وصف يدل على الشجاعة والكرم والبسالة وعن تحلى الحاجب بالصفات الرفيعة المحمودة، قال[1]:

صاد الزمان ورو غـــــلة صـاد بمدامة لم تعد مولد عـــــــاد

أو ما ترى ثغر الثرى مـــــتبسما لك عن مراد مونق ومـــــــراد

وبنفسج الروض الأغر كـــــأنه فى حسنه لعس عليه بـــــاد

لابل كأجنحة الفراش تـــــألفت نسقاً وقد خضبت من الفرصـاد

روض يظل اللحظ يعبد حـــسنه كعبادة العليا بنى عـــــــباد

يزهى المحافل والجحافل مـــنهم أسنى عميد للورى وعـــــماد

الحاجب المحجوب طاهر عرضه بندى جواد فى الرهان جـــواد

صلتان مازالت حداد ســــــيوفه وقناه تكسو الشرك ثوب حـــداد

أما ابن دراج القسطلى فله مقطوعة يمدح فيها المنصور بن أبى عامر بادئاً مقطوعته بمدح ممدزحه المنصور وأنه أهل السكينة والسعادة على القلوب ثم أراحنا طرباً وارتياحا ثم يكمل مادحاً جمال نبات الخيرى الرائع أنه ما أجمل الشرب ليلاً بجواره فهو مشع فى الليل لا يرى الصباح حتى إذا ما أتى الصباح تجده نائماً مستكيناً إما إذا جاء الليل فإنه يكبر وينمو ويفوح رائحته الجميلة كذلك حين اختار الله عبده وجعل السماح في راحتي يديه وفى صهوات الخيول وفى أدوات الرجال جعل السلاح فأصبح القريب والبعيد معاً وروى عطش السيوف والرماح بدماء أعدائه،

1- الركابى جودت، المرجع السابق، ص 111.

وابن دراج كما يقول إحسان عباس كان كثير الانهماك التصوير محب لاسترجاع الذكريات[1]، قال[2]:

غدا غير مسعدنا ثم راحـــــا يساعدنا طرباً وارتـــــــياحا

وخير فاختار شرق الـغبـوق ولج فليس يرى الاصـــطباحا

فإن آنس الصبح نام وشــح وإن آنس الليل نم وفـــــاحا

كما خير الله عبد المـــــليـ ـك فاختار فى راحتيه السماحا

وفى صهوات الخيول الرجـال ومن أدوات الرجال الـــسلاحا

فعم القريب ندا والبـــــعيد وروى السيوف دماً والرمــاحا

وقال يوسف بن هارون الرمادى عن نبات الخيرى انظر إلأى هذا النبات وغرائبه الكثيرة التي تظهر في الظلام ولكنها في النهار تتستر أي تختفي فكأنه سارق روائح جميلة يفرقها فقط في الظلام فهو مشهور بتعطير الريح برائحته العذبة الجميلة، قال[3]:

انظر غرائب للخيرى ظـــاهرة عند الظلام وعند الصبح تستتر

كأنه سارق طيباً تفرق في الـ ـظلماء فهو بنم الريح مشتهـر

وقال شاعر آخر في الخيرى أنه ينمو مع الظلام رائحته الطيبة الجميلة ثم يختفى في الصباح مثل المتخفى مثل التي تتعطر ليلاً للقاء حبيبها وفى الصباح تخفى هذا النسيم بعطرها، قال[4]:

ينم مع الإظلام طيب نسيمه ويخفى لدى الإصباح كالمتستر

1- ينظر: إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، الطبعة السابعة، 1985، ص 251.

2- ابن دراج. الديوان، المرجع السابق، 34.

3- المرجع نفسه، ص 112.

4- المرجع نفسه، ص 113.

كعاطرة ليلاً لوعد مـــحبهـا وكاتمة صـــــبحاً نسيم التعطر

أما أبو بكر ابن القوطية يمدح إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الحميرى الإشبيلى بادئاً الأبيات بمدح رائحته الطيبة الجميلة وأنفاسه العاطرة فكأنما حلاته اشتقت من الغلس فهو في لون البنفسج الجميل كأنما اختلس منه ومن جمال هذه الزهرة الجميلة، وهنا تبرز خاصية يجب الانتباه لها في شعر الطبيعة وهى الصلة الحميمة بين الطبيعة والإنسان الأندلسي فيجسدها ويبث فيها الحياة[1]، وهذا ما نراه في وصف ابن القوطية حيث يكمل قائلاً إذا تجول ليلاً يسرى نسيمه في كل مكان ويظل هذا النسيم عابقاً طيلة النهار فهو مختلف عن كل جنس إنسان أو بشر فهو فى قمة التواضع حتى إذا سرى الليل ترى له أنس من الصحبة والأصدقاء فهذا انسك العالي ابن عامر الذي عمر به الدولة فهو مزج الرياسة والقوة بالسياسة وهذا دليل على الحنكة والقوة فهو عالي الأصل طيب وصل لما هو فيه بجهد وبذل فهو لم يرث عن جد ولا أب الرياسة فهو مثل النور الذي جاء وأوضح كل التباس للناس، قال[2]:

ومضرج الأثواب مسكى النـــــفس فكأنما اشتقت حلاه من الـغلس

شرك البنفسج فئ الأديم فـــــلونه من لونه فكأنه منه اخـــــتلس

يسرى إذا طرق الظلام نـــــسيمه ويظل يكمن بالنهار كذى دلـس

متنكراً حتى المساء وإنـــــــــما سلطانه بالليل فهو من الحرس

جنس يخالف كل جنس فى التعـــ رى والتلبس والتوحش والأنـــس

فتراه طول نهاره مـــــــــــتجردا من عرفه ومع الدياجى مـلتبس

1- ينظر: إيليا الحاوى، فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثالثة، 1980، ص 238.

2- الحميري، المرجع السابق، ص 114.

وتراه طول نهاره مـــــــــتوحشاً فإذا دنا وقت الظلام له أنـــس

أنس المعالى بابن عامر الـــــذى عمرت بدولته منازلها الـــدرس

أحى الرياسة بالسياسة فهو مـفـ ـــصح لكنها بعد الـــــــحرس

وعلا فلم يرث العلى والمجد عـــن جد له نكس ولا جد تـــــــعس

نور توقد فاستبان بـــــــتلمحه ما كان أشكل قبل ذلك والــتبس

أما الوزير أبو عامر بن مسلمة فيقول وروضة محاطة بكل شيء جميل قد تراه العين نبات الخيرى الجميل الذى فيها يكفيك عن أي نور يأتي من أي اتجاه آخر فهو كاتم للأسرار صباح لا يبوح بها حتى إذا جاء الليل باح وفاح فهو ليلى مثل الشرب لا يوجد فى قاموسه ولا دينه أن يرى الصبح أو أن يزهر فيه، قال[1]:

وروضة مـحفوفة بكل حسن مـــــفترح

خيريها بـــــخلقه عن كل نور مـــنتزح

يكتم أسرار الهوى فإن أتى الليل يـــبح

مغتبق ليس يـرى فى دينه أن يصطبح

أما أبو بكر بن نصر فقد قال أبيات بدأها بأنه يحب من الأصدقاء من كان ملبياً سريع الإجابة ظريف خفيف يحب أن يشرب الخمر ليلاً مع الأصدقاء ثم حين يمشى يوقظنى وينفض عنى أثر الشراب أما الريحان بالنسبة لي فهو الخيرى وهو « نبت له بزر كالريحان قوى الرائحة سمى بذلك لسطوع رائحته فينم على حامله»[2]، فلقد اخترته من بين كل النواوير الخيرى الناضر الجميل وهو اختاره لعرفه وطيبه

1- فوزي سعد عيسى. شعراء أندلسيون. منسيون. 204.

2- محمود الدمياطي، مصطفى، معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، 1965 ، ص 135.

وريحته الجميلة التي تتمكن وتكبر ليلاً وتكمن وتخمد نهاراً كأنه لا يرى ولا يستمتع بأي لذة إلا عندما يسهر ليلاً، قال[1]:

أحب من الإخوان ندباً مـــــبادراً نقى الحلى مما يدنس طـــاهرا

يلم بليل للـــــمدام مـــــنادماً وينفض عنى حين يصبح سائرا

وريحاننا الـــخيرى محضاً فإنني تخيرته بين النواوير نـــــاضرا

لما أنه يضحى من العرف عاطلا نهاراً ويمسى مدة الليل عـــاطرا

كأن له لف الأريب فـــما يـــرى مشاهدة اللذات إلا مـــــساهرا

وللوزير أبو مروان عبد الملك بن جهور فقال في النرجس الأصفر لقد أصفر حتى كأنه إلف هجر فاصفر وجهه من شدة الشوق « جرى في ثياب الحزن على مذهب الأندلس إّ ثياب حزنهم أبيض»[2]، وهنا صورة طيبة حيث من حزنه اصفر لونه والأصفر لون مشتق من درجات الأبيض ، ثم يكمل وطابت رائحته حتى تظنه مسكاً منتثر ثم يكمل واصفاً أنه مكتمل المنظر بجذع أخضر جميل يجعل من يراه يتعجب من جمال منظره ثم يخاطبه يا أيها النرجس الذي رائحته الجميلة تذكرني بالشوق للأحباب فكأنه زمرد مال فوق الذهب من فوق الشجرة هل علينا يملأ الحديقة والمكان لقد هيجت أشجاني وأحزاني ورجعت لي ذكريات قد قد نسيتها منذ وقت طويل، قال[3]:

اصفر حتى كأن الإلف يـــهجره وطاب حتى كأن المسك ينثره

واخضر أسفله من تحت أصفره فراق منظره الباهى ومـــخبره

1- المرجع نفسه، ص 116.

2- عبد الحميد عباسي، وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي، إشراف: محمد رضوان الداية، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 1976 -1986، ص106

3- عبد الحميد عباسي، المرجع نفسه، ص 119

يا نرجساً ظل قدامى تنم لـــــه ريح تذكرني شوقي فأذكـــــره

زمرد مائل من فوقه ذهـــــــب معين نابه منه ومـــــــحجره

هيجت لي شجناً قد كان فارقني ذكرتني بالذي ما زلت أؤثره.

كتب أبو مروان عبد الملك الجزيري إلى المنصور بن أبى عامر تحية طيبة إلى أصحاب العلا ذو القامة والهمة في المجالس تحية زكية مثل النرجس هذه الزهرة الجميلة التي تظهر لك من خلال شكلها ولونها النجوم الجميلة التي تظهر وتغيب فهي مثل النجوم الجميلة تطلع على مطالع مخضرة أي تنبت على أوراق مخضرة ثم تكمل مكتسية بغطاء رقيق جميل من السندس فتظهر متزينة جميلة مكتملة الحسن ذات رائحة جميلة مثل المسك الطيب الذي يطيب لمن يتنفسه أن يشتمه فهو مالك لقلوب الشاربين حيث كلما دار الساقي في المجلس يوزع الكؤوس هذا النرجس الجميل يأسر القلوب كما يأسر آل عامر القلوب فالملك العامري ملك الهمة والشجاعة محمود السيرة والخبر في عهده لبس الناس والزمان أجمل وأكرم ملبس في عهده الطيب اكتسى الناس أمناً وجمالاً أما إذا اثنيت على أحد فهو من بين كل الناس أحق بالثناء لعلو قدره ومكانته، قال[1]:

حيتك يا قمر المعالي والمجلس أزكى تحيتها عيون النـــــرجس

زهراً تريك بشكلها وبلونـــــــها من سوقها كسيت برود السندس

فتزينت حسناً أتم تـــــــــزين وتنفست طيباً ألذ تـــــــــنفس

وملكن أفئدة الندامى كـــــــلما دارت بمجلسهم مدار الأكـــؤس

ملك الهمام العامرى مـــــــحمد للمكرمات وللنهى والأنـــــفس

لبس الزمان وأهله من عـــهده وفعاله المشكور أكرم مـــــلبس

1- عباسي، عبد الحميد، المرجع نفسه، ص 120.

فإذا ذهبت إلى الثناء فقفه مـن بين الأنام على علاه واحـــبس

وقد مدح أبو دراج القسطلى الملك المظفر المنصور بن أبى عامر يقول إن النرجس الجميل والراح يتنازعون مع بعضهم تسبيهاً على من حل فى وسط المجلس يتبارون بلونهم سوياً أيهم أجمل لوناً وأيهم أطيب نفساً فكأنه من حد سيفك يلتظى كل من هو غير منضبط أما لو تحدثنا عن طيب خلقك فهو منه يكتسى الجميع يا من رتبته علت علواً في الأعالي حتى وصل إلى مرتبة النجوم العالقة اللامعة فى السماء أما لو تحدثنا عن أصلك وشرفك وأدبك فهو يعتبر قدوى وأسوة للملوك حيث يأتسى به الكل، قال[1]:

شكلان من راح وروضة نـــرجس يتنازعان الشبه وسط المــجلس

متباهيين تلوناً بتـــــــــــلون متباريين تنفساً بـــــــــتنفس

فكأنها من حد سيفك تـــــــلتظى وكأنه من طيب خلقك يــكتسى

يا من علا من رتبة في رتـــــــبة حتى غدا وسط النجوم الخنس

وابن الذين هداهم ونـــــــــهاهم أدب الملوك وأسوة للـــمؤتسى

قال إسماعيل بن بدر أهديك من الزهور أحسنها من شدة جماله قد ضل قبلي الكثير من الناس في وصفه فلم يعرفوا لشدة جماله وصفا فكأنها قطع من فضة وضعت في كؤوس ذهبية قامت عند الزمرد منبت في كل وردة مفتوحة آس، حيث يدل هذا على تنعم البيئة الأندلسية بجمال ثر وروعة آسرة وتصطبغ بظلال وارفة وألوان ساحرة، تتنفس بجو عبق عطر يضاعف من روعته وبهائه ما يتخلل جنباتها

1- ابن دراج القسطلي. الديوان. 33.

من مواطن السحر ومظاهر الفتنة التي تبعث الانبهار والدهشة في النفوس[1]، وهذا يدل على شدة جمال النرجس والتعجب في بديع خلقه فسبحان الله، قال[2]:

أهدى إليك من النوار أحـــــسنه قد ضل في وصفه من قبلى الناس

كأنها نقر من فضة وضـــــعت فيها من الذهب الإبريز أكـــواس

على الزمرد قامت عند مـــــنبتها في كل نوارة مفتــوحة كـــــاس

رابعا- دلالة النوريات على التشتت والخوف والقلق:

لم تستقر للشعراء الأنلدسيين وهم بين أحضان الطبيعة الخلابة، إلى مزاج حسن وسعادة غامرة، وهذا ما نجده في قول الشاعر ابن حزم الأندلسي: [3]

أعارتك دنيا مسترد مـــــــعارها غضارة عيشٍ سوف يذوي اخضرارها

أتعلم أن الحق فيما تـــــــركته وتسلك سبلاً ليس يخفى عـــوارها

وتترك بيضاء المناهج ضـــــــلةً لبهماء يؤذي الرجل فيها عـــتارها

تدبر من الباني على الأرض سـقفها وفي علمها معمورها وقـــــــفارها

ومن صير الألوان في نور نـــــبتها فأشرق فيها وردها وبـــــــهارها

فمنهن مخضر يروق بـــــصيصه ومنهن ما يغشى اللحاظ احـــمرارها

ومن رتب الشمس المينر ابيضاضها غدواً ويبدو بالعشي اصـــــــفرارها

فلم يكونوا يرفلون دوما في مندوحة من العيش آمنة مطمئنة، فقد عانوا من خلال حقبتهم وتألموا نفسيا وعبرو عن ذلك بتوظيفهم لعناصر الطبيعة ولا سيما الأنوار والأزهار، التي يبثونها شكواهم ويعبرون من خلالها عن تلك النوازع باستعمالهم للأزهار فباقة الأزهار قد تكون باقة أفراح وانشراح أو عزاء بكاء.

1- ينظر: الركابى جودت، الطبيعة في الشعر الأندلسي، مطبعة الشرقي، دمشق، ط2، 1970، ص25.

2- المصدر نفسه، ص 100.

3- ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة، في الألفة والألاف. ص191-192.

الفصل الثالث:

القيم الفنية والجمالية لشعر النّوريات والزّهريات الأندلسي

1- الإيقاع

2- الوزن

3- التكرار

4- اللغة

5- الصورة الشعرية

أولا: مفهوم الإيقاع

رغم ما يحمله هذا المعنى –الإيقاع– من سلاسة وتعدد في الاستعمال، حتى اكتنف مناحي حياتنا اليومية، وغذى من واقعنا إلا أنه اصطبغ بالغموض في نطاق الدراسات الأدبية والشعرية على الأخص، وما يزيد من المفارقة كونه أكثر المصطلحات النقدية انتشارا في ثنايا الخطابات النقدية المعاصرة، « ولكنه في ذات الآن أكثر المفاهيم ضبابية وتعميما إلى حد يصح معه وسم الوضع بالسديم المعرفي، فإذا المصطلح في صلب الدراسة الواحدة واحد، بينما المفهوم متنوع أما بين باحث وآخر فالتنوع والاختلاف يصلان حد التناقض». [1]

1– الإيقاع لـــــــغة:

ولفهم مصطلح الإيقاع لا بد من تعريفه لغة واصطلاحا لكشف بعض الإبهام والغموض الذي يشوبه ويكتنفه، ويليه محاولة تطبيق بعض عناصره على عينة من الشعراء الأندلسيين–لاستكناه خباياه الشعرية ومدى فاعلية الإيقاع في بناء المعنى ورصف الدلالات الشعرية العميقة له.

جاء في "لسان العرب" لابن منظور تحت مادة (و.ق.ع) ما فحواه: «الإيقاع من إيقاع اللحن والغناء وهو أن يوقع الألحان ويبنيها [2]».

وعرفه "ابن سيدة" في معجمه "المخصص" تحت مادة (و.ق.ع) بقوله الإيقاع: «حركات متساوية الأدوار لها عودات متوالية [3]».

1– خميس الورتاني: الإيقاع في الشعر العربي الحديث (خليل الحاوي نموذجا)، دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ج1، ط1، 2005، ص 13.

2– ابن منظور، مادة (و.ق.ع)، ج8، مصدر سابق، ص 408.

3– بن سيدة، المخصص مادة (و.ق.ع)، ج1، دار الكتب العليمة، بيروت، لبنان، ط1، دت، ص 145.

وعرفه "الخوارزمي" في كتابه "مفاتيح العلوم": «المراد به في علم الموسيقى النقلة على النغم في أزمنة معدودة المقادير والنسب [1]».

ليتضح في تعريفة الإيقاع لغة في المعاجم والكتب القديمة أنه مرتبط بالموسيقى والغناء ولا يحيد عنهما في شيء بمعنى أنه وضعه لا يعدو يعبر عن الموسيقى والألحان؛ وضعا علمي رياضي موسيقي بحت.

2- الإيقاع اصطلاحا:

- الإيقاع في التراث النقدي:

يرى "ابن طباطبا" في كتابه "عيار الشعر: «وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه فإذا اجتمع للفهم من صحة وزن الشعر صحة المعنى، وعذوبة اللفظ، فصفا مسموعه، ومعقوله من الكدر، ثم قبوله له واشتمال عليه، وإن نقص جزء من أجزائه التي يكمل بها وهي: اعتدال الوزن، وصواب المعنى، وحين الألفاظ كان إنكار الفهم إياه على قدر نقصان أجزائه». [2]

يتضح من معالم الرؤى النقدية الخصبة لهذا الناقد أن الإيقاع نظير الشعر الموزون، وهو أعم وأشمل من الوزن الشعري الذي لا ينصرف لغيره، ولا يحيد عنه، فمن خلاله تبرز الجودة الشعرية، وتعتمل في الذات الشاعرة قيم الارتياح والرضى والقبول عن العمل الشعري.

1- الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تح: نهى النجار، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 245.

2- ابن طباطبا، عيار الشعر، تح: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، القاهرة، مصر، طبعة 1984، ص 53.

وذهب المرزوقي عند شرحه لديوان الحماسة إلى قوله: «وإنما قلنا تخير من لذيذ الوزن؛ لأن لذيذه يطرب الطبع لإيقاعه، ويمازجه بصفائه، كما يطرب الفهم لصواب تركيبه واعتدال منظومه». [1]

ما يظهر من كلام المرزوقي أنه يعطي الأولية للإيقاع من كونه يعد الأثر الجميل لوقع حركات النفس وسكناتها، فتبهج لسماعها وتأنس ببقائه ودوامه، وهو يرتبط بالشعر الموزون فقط.

يرى "أبو حيان التوحدي" في كتابه "المقابسات": «يقال ما الإيقاع؟ الجواب فعل يكبل زمان الصوت بفواصل متناسبة متشابهة متعادلة»، أي هو انتظام الصوت في المسافة والزمن.[2]

ويعرفه "ابن سينا" في كتابه "جوامع علم الموسيقى": «الإيقاع من حيث هو إيقاع تقدير ما لمان النقرات... وإذا اتفق أن كانت النقرات محدثة للحروف المنتظم منها كلام كان الإيقاع شعريا». [3]

-الإيقاع عند العرب المحدثين:

يرى "كمال أبو ديب" أن الإيقاع هو: «الفاعلية التي تنقل إلى المتلقي ذي الحساسية المرهفة الشعور بوجود حركة داخلية ذات حيوية متنامية تمنح التتابع

1- المرزوقي، شرح الديوان الحماسة، تح: عبد السلام هارون، وأحمد أمين، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص 10.

2- أبو حيان التوحيدي، المقابسات، تح: توفيق حسين، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط2، 1989، ص 285.

3- ابن سينا، جوامع علم الموسيقى، نقلا عن ألفت الروبي: نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، دار التنوير ، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص 251.

الحركي وحدة نغمية عميقة عن طريق إضفاء خصائص معينة على عناصر الكتلة الحركية». [1]

الإيقاع حسب كمال أبو ديب مبعثه الحركة الدائبة لا السكون، فهو دينامية متتابعة تحل في المتلقي معاني البهجة والارتياح، أو الأسى والأتراح نحو عمل ما، وفق ديالكتيك توافقي يحدث من خلاله الإحساس والإدراك على أوجه حيوية تفاعلية معها تبرز كوامن الطاقة الداخلية.

ويعرفه "محمد العياشي" بقوله: «وأما الإيقاع فهو ما توحي به حركة الفرس في سيره وعدوه وخطوة الناقة وما شاكل ذلك لخضوع تلك الحركة في سيرها إلى مبادئ لا تفريط فيها هي: النسبية في الكميات والتناسب في الكيفيات والنظام والمعاودة الدورية، وتلك هي لوازم الإيقاع». [2]

ما يفهم من تعريف محمد عياش في تعريفه أنه اتكأ على جملة من المصطلحات التي تحيل بدورها إلى الحيوية الدائمة، والحركة الدورية المنتظمة، التي لا تنقطع ولا تعرف معنى للتراخي أو الفتور "الحركة، والنسبة، التناسب، والنظام، والمعاودة الدورية"، فالإيقاع مادة روحها الحركة، ودوامها الحيوية، والنظام والتوافق، والتكرار، والتناسق، والترتيب.

بعد هذا العرض التنظيري التوضيحي أنتقل إلى الحيثيات التطبيقية التي يمكنها أن توضح الموقف الشعري ومدى مساهمة الإيقاع في بناء نشاطه الدلالي.

1- ينظر: عبد الرحمان تبرماسين، البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص 99.

2- المرجع نفسه، ص 102.

- فاعلية الإيقاع في بناء المعاني الشعرية في شعر النوريات والزهريات الأندلسي:

ثانيا: الوزن:

تعرضنا لما سبق في هيكل القصيدة العام من الناحية الموضوعية ثم سنتطرق للحديث عن الوزن الذي هو من الأركان الأساسية للقصيدة.

يقول ابن طباطبا العلوي في الوزن «للشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه ويرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه»[1]، وعلم العروض هو علم نميز به صحيح الوزن من فاسده والفروق بين الأوزان الشعرية في العربية وما يشترط لكل من الشروط، فالعروض إذن هو المقياس الفني الذي نعرض عليه الأبيات العشرية لنتأكد من صحة وزنها[2].

ويعد الوزن ركن أساسي من أركان الشعر وعده ابن رشيق « أعظم أركان حد الشعر وأولاها خصوصية»[3]، كما أن الوزن «ليس شيئاً زائداً يمكن الاستغناء عنه، وليس مجرد شكل خارجي يكسب الشعر زينة ورونقاً وطلاوة وحلاوة ، بل هو ضرورة يقوم أساسها على حقيقة جذرية في صميم التكوين والسلوك البشريين»[4] .

ويفرق محمد غنيمى هلال بين الوزن والإيقاع قائلاً عن الوزن «مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت»[5]، أما الإيقاع « وحدة النغمة التي تتكرر على

1- ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق: عبدا لعزيز بن صالح المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص21

2- ينظر: صفاء خلوصي، فن التقطيع الشعري، منشورات مكتبة المثنى ببغداد، الطبعة الخامسة، 1977، ص26

3- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، 1981، الجزء الأول، ص 134

4- محمد النويهى، قضية الشعر الجديدة، المطبعة العالمية، القاهرة، 1964، ص 37

5- محمد عنيمى هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الخامسة، 2005، ص 435

نحو ما في الكلام أو البيت أي توالى الحركات والسكنات على نحو منتظم في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام»[1].

الوزن عند المعاصرين عرفه الباحث "محمد صابر عبيد" بقوله: «إن الوزن في شكله الأساسي المجرد هو الوعاء أو المحيط الإيقاعي الذي يخلق المناخ الملائم لكل الفعاليات الإيقاعية في النص، وهو في ذلك كالأرض الصالحة للزراعة التي لا تكتسب شكلها إلا من خلال النوع المزروع فيها، وهو يخلق منها صورة على نحو خاص تتغير "مادة وإيقاعاً" بتغير النوع».[2]

ويرى بأن الوزن ليس هو الإيقاع، فالوزن قياساً إلى الإيقاع ليس أكثر من وعاء مشكل بأبعاد منتظمة يستوعب التجارب الشعرية، والتجربة هي التي تختار وزنها بما يتلاءم مع طبيعتها وخواصها، وهذا يعني أن لكل وزن نظامه الخاص الذي يحمل في طياته قدرة خاصة على استيعاب نمط معين من التجارب، وهذا ما يفسر تعدد البحور وتنوعها، إذ لو كان بحرا واحداً قابلاً لاستيعاب كل التجارب لاكتفت به القصيدة العربية. إلا أن الوزن هو مادة موسيقى الشعر، ولا يمكن لهذه المادة أن تحيا من دون تدخل الروح فيها، وروح الوزن هو الإيقاع الذي يولد من خلال امتزاج التجربة بالوزن. ولا تظهر القصيدة بوزنها عند المتلقي إنما تظهر بإيقاعها "ممثل الوزن في عملية التوصيل».[3]

نوع الشعراء في توظيف البحور الخليلية ولعل أكثرها تواترا مارصدناه في الجدول الآتي على سبيل الإيجاز لا الحصر:

1- محمد غنيمى هلال، النقد الأدبي الحديث، ص 435

2- محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية (حساسية الانبثاقة الشعرية الأولى جيل الرواد والستينات)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2001، ص09.

3- محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، ص 24-25.

القصيدة	البحر الشعري	مفتاح البحر
1	الطويل	فعولن مفاعلين فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلين فعولن مفاعيلن
2	الكامل	متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن
3	السريع	مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن
4	البسيط	مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن
5	المتقارب	فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ
6	الرمل	فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
7	المديد	فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

وقد رتبتهم ترتيباً من أكثر البحور استخداماً وهو الطويل إلى أقل البحور استخداماً وهو الرمل والمديد.

– البحر الطويل: يقول التبريزى عن البحر الطويل «الطويل سُمى طويلاً لمعنيين، أحدهما أنه أطول الشعر، لأنه ليس في الشعر ما يبلغ عدد حروفه ثمانية وأربعين حرفاً غيره، والثاني أن الطويل يقع في أوائل أبياته الأوتاد، والأسباب بعد ذلك، والوتد أطول من السبب، فسُمى لذلك طويلاً»[1].

قال ابن زيدون في الطويل:

إذا هُوَ أَهدى الياسَمينَ بِـكَفّــِهِ أَخَذتُ النُجومَ الزُهرَ مِن راحَةِ البـَدرِ

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلـــن

1– الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1994، ص22

– البحر الكامل: سمى البحر الكامل بذلك «وسمى البحر الكامل كاملاً لتكامل حركاته وهى ثلاثون حركة ليس في الشعر شيء له ثلاثون حركة غيره، والحركات وإن كانت في أصل الوافر مثل ما هي في الكامل فإن في الكامل زيادة ليست في الوافر وذلك أنه توفرت حركاته، ولا يجئ على أصله والكامل توفرت حركاته وجاء أصله فهو أكمل من الوافر فسمى لذلك كاملاً»[1].

البحر الكامل «يصلح لكل غرض من أغراض الشعر ولهذا أكثر وجوده في شعر القدمى والمحدثين... وهو إلى الشدة أقرب منه إلى الرقة» [2].

يقول عبد الله الطيب «وهو أكثر بحور الشعر جلجلة وحركات، وفيه لون خاص من الموسيقا يجعله–إن أريد به الجد – فخما جليلا مع عنصر ترنمي ظاهر، ويجعله إن أريد به إلى الغزل وما من مجراه من أبواب اللين والرقة، حلوا عذبا مع صلصلة كصلصلة الأجراس، ونوع من الأبهة يمنعه أن يكون نزقا أو خفيفا أو شهوانيا وقد ورد البحر الكامل تاماً ومجزوء، مثل قول ابن زيدون :

كَالآسِ أَخضَرَ نَضرَةً وَالوَردِ أَحمَرَ بَهجَةً وَالمِسكِ أَذفَرَ طـــيبا

وَإِذا تَفَنَّنَ في اللِسانِ ثَنـــــــاؤُهُ فَافتَنَّ لَم يَكُنِ المُرادُ غَريبـا

غالى بِما فيهِ فَغَيرُ مُـــــــواقِعٍ سَـــرَفاً وَلا مُتَوَقِّعٍ تَكذيبـــا[3]

جهْور بن أبي عبده أبو الحزم الوزير، قال في وصف الورد:

الوردُ أحسنُ ما رأت عين وأزكى ما سقى ماء السحابِ الجائدُ

خضَعتْ نواوير الرياض لـحسنه فتدللت تنقاد وهي شـــــواردُ

1– الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، تح: الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1994، ص 58

2– صفاء خلوصي: فن التقطيع الشعري والقافية، دار الشئون الثقافية، بغداد، العراق، ط6، 1987، ص 95.

3– ديوان ابن زيدون، شرح يوسف فرحات، دار الكتاب العربى، بيروت، ص48

وإذا تبدّى الورد في أغـــصانه ذلوا فَذَا مَيْتٌ وهذا حـــــاسد

وإذا أتى وفد الربيع مـــــــبشرا بطلوع صفحته فنعمَ الـــوَافِدُ

ليس المبشِّر كالمبشَّر باســمه خبر عليه من النُّبوة شـــاهدُ

وإذا تعرّى الوردُ من أوراقـــــه بقيتْ عوارفه فهن خوالـــــدُ [1]

– البحر السريع: سمى السريع سريعاً «لسرعته في الذوق والتقطيع، لأنه يحصل في كل ثلاثة أجزاء منه ما هو على لفظ سبعة أسباب، لأن الوتد المفروق أول لفظه سبب والسبب أسرع في اللفظ من الوتد فلهذا المعنى سمى سريعًا»[2]، من أمثلة البحر السريع قول ابن زيدون:

وَشادِنٍ أَسأَلُهُ قَـــــــهوَةً فَـــجادَ بِالقَهوَةِ وَالوَردِ

فَبِتُّ أُسقى الراحَ مِن ريقِهِ وَأَجتَني الوَردَ مِنَ الخَدِّ[3]

فَبِتُ أَســــــــــــــقى الراحَ مِــن ريـــــــقِهِ

استخدم الشعراء البحور بطريقة عفوية حسب ما جاء انفعالهم، وهذا يدل على ما تتمتع به البحور من مرونة في التعبير فلم يقف الشعراء عند بحر معين لصوغ زهرياتهم ونورياتهم فيه.

ثالثا: القافية

القافية مرتبطة بالوزن«جزء من الوزن الشعري للبيت وهى مع ذلك تحدد نهاية البيت إيقاعيًا ولهذا فهي عامل أساسي في تقسيم القصيدة إلى أبيات»[4]، والقافية

1– أحمد بن فرج الجياني الأندلسي، الحدائق والجنان من أشعار أهل الأندلس والديوان بني فرج شعراء جيان، تح: محمد رضوان الداية، أبو ظبي، الإمارات، طبعة 2003، ص 92.

2– الخطيب التبريزي، المصدر السابق، ص95 .

3– ابن زيدون ، الديوان، ص 68

4–حسنى عبد الجليل يوسف، موسيقى الشعر العربي (دراسة فنية وموضوعية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989، الجزء الأول، ص140

هي «مجموعة أصوات تكون مقطعًا موسيقيًا واحدًا يرتكز عليه الشاعر في البيت الأول فيكرره في نهايات أبيات القصيدة كلها مهما كان عددها»[1]، وسميت قافية «لكونها في آخر البيت مأخوذة من قولك : قفوت فلاناً، إذا تبعته»[2]، وتعد القافية من أركان العروض الأساسية حيث تمتلك مقاييس أهمها : مقياس الجمال الخاص برعاية تناسب الصوت[3]، والقافية تختلف بين التقييد والإطلاق ، ومن أمثلة القوافي المطلقة، قول أحمد بن هشام بن عبد العزيز بن سعيد الخير بن الإمام الحكم وقد به إلى الإمام عبد الحمن الناصرلدين الله[4] {بحر الخفيف}:

يا مليكاً من الملوكُ مصـــــفى والذي جَلَّ أَنْ يُحدد وصـــــفَا
عبدك الشَاكِر المؤمل أهـــدى نرجساً كالعبير نشراً وعـــــرفَا
كُلما فَاح نَشْره قُلت إلـــــف في دُجى الليل عَاطر زَار إِلــفَا
وَإِذَا مَا لَحْظته قُلت أَلـــــحا ظ خليع قَدْ مَالَ سُكْراً فَأَغْفَـــى
مِنْه مِثْل الإِبْرِيزِ في صَفرة اللـو ن وَمِنْه مثل الجَام المُصـفَـــى
فَكَأنى بِما أقلب مـــــــنِه صيرفى أَضْحَى يُحَاول صَـــرفَا

فوردت مقطوعته مطلقة حيث الفاء روى والألف مخروج.

فالقافية وردت هنا مطلقة حيث جاء الروى حرف الراء ووردت ألف التأسيس كأنها جزء من التشكيل الإيقاعي للقافية.

1- عبدالرضا على، موسيقى الشعر قديمه وحديثه دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والشعر الحر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 1997، ص 168

2- التنوخى، القوافى، تحقيق : عونى عبد الرؤوف ، مكتبة الخانجى ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1978 ، ص 59

3- ينظر: محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعرى (إستراتيجية التناص)، المركز الثقافى العربى ، الدار البيضاء، المغرب ، الطبعة الثالثة ، 1992 ، ص 43

4- الحميرى ، البديع ، مصدر سابق، ص 100.

أما الفقيه أبو الحسن بن على فأنشد للفقيه أبى عثمان بن البر فوردت مقطوعته مطلقة أيضاً حيث قال[1]:

ألا سقنى روح النفوس وأنســـها ولين بماء المزن فى المزج مسها

وشعشع لنا شمس الشمول ببدرها وأجر علينا بالمسرة كأســـــها

فأنت ترى أقمار نرجس روضـــنا خلاف السماويات جاوزن شمسها

محاسن لو وافت أخى العلا باقـلا إذا بز سحبان البرايا وقســـــها

فورد حرف السين روى والهاء وصل وحركتها نفاذ والألف مخروج. ولأبي بكر بن القوطية مقطوعة أيضاً مطلقة حيث قال[2]:

زُمُرد أَوْرَقت أَغـــصَانه دُرراً فَرَاحَ كالرَاحةِ البَيْضَاء مُـــــنفَطرا

يقل يَاقُوتة صَفْراء فـــــاقِعة كَأَنَّهَا الثُبر مِن فَوق اللجين جَـرى

هَوَ النَّهَار وَلَكن رد نُـــقْطته مَكِيدة تحته النـــــــوار إِذْ وَغَرا

ثِمت دَعَاه بَهاراً كَى يـــهجنه وَقَدء حَوَى قصبات السَبْقِ إِذْ بَهَرا

كَمُقْلةِ دُب فِى أَجْفانِها وَسَـن فَدَنَقَتْ غَيْر أَنْ لَمْ يَدْر طَـعْم الكَرى

حيث جاء حرف الراء حرف الروى والألف مخروج.

أما ابن دراج فقد وردت قصيدته مطلقة أيضاً حيث قال[3]:

غدا غَيْرَ مُسْعِدِنا ثُمَّ رَاحـــــا يُسَاعِدُنَا طَرَباً وارْتـــــــياحا

وخُيِّرَ فاختارَ دِينَ الغَبـــوُقِ ولَجَّ فليسَ يَرى الإِصْطِباحـــا

فإِنْ آنَسَ الصُّبحَ نامَ وشَـــحَّ وإِنْ آنَسَ الليلَ نَمَّ وفاحـــــا

كما خَيَّرَ اللهُ عَبْدَ المَـــــلِي كِ فاخْتارَ فِي رَاحَتَيْهِ السَّمَاحا

1- الحميرى، البديع، ص 104

2- المصدر نفسه، ص 106.

3- الحميرى، البديع ، ص 112، ابن دراج القسطلي. الديوان. ص 34.

وفي صَهَوَاتِ الخُيُولِ الرِّجَالَ ومِنْ أدوَاتِ الرِّجَالِ السِّـــلاحا

فَعَمَّ القريبَ نَدىً والبـــــعيدَ ورَوَّى السُّيوفَ دَماً والرِّماحـا

فورد حرف الحاء حرف الروى والألف مخروج.

فالقافية وردت هنا مطلقة حيث حرف الراء حرف الروى وألف التأسيس وردت مخروج .

ومن أمثلة القوافى المطلقة أيضاً قول الوزير أبو مروان عبد الملك بن جهور[1]{بحر البسيط}:

اصفرّ حتى كأنّ الإلْف يـــهجُرُه وطاب حتى كأن المسك ينثُرُه

واخضرّ أسفلُه من تحت أصفـره فراق منظرُه الباهي ومـــــخبَرُ

يا نرجسا ظلّ قُدّامي تنمّ لـــــه ريح تذكّرني شوقي فأذكـــرُ

زمرد مائل مِن فَوقِه ذهـــــب معين نَابه مِنه ومـــــحجرُه

هيّجْتَ لي شجنا قد كان فارقني ذكّرتني بالذي مازلت أوثـــرُه

فالقافيه هنا وردت مطلقة حيث الراء روى وحركتها مجرى والهاء وصل وحركتها نفاذ والواو خروج.

من القوافى المطلقة أيضاً قول أبو الحسن بن على[2]:

وروضٍ أَريض لم يزل يغتذي بما يروحُ عليهِ من سحابٍ ويـغتدي

بدا النرجسُ المُصفرُّ فيه مُـباهياً بلونٍ كلون المُستهامِ المُـــسهَّدِ

ترى كُلَّ نَورٍ منهُ فوقَ قضـــيبه كلمَّة تِبرٍ فوق جيدِ زَبـــــرجَدِ

إذا ما سرى منهُ نسيمٌ لـــــوالِهٍ سرى عنه جلبابُ الجوى المتوقدِ

حكى منظراً نضراً وخُبراً خـــلائق النَّجيب أبي عمرو سليلِ مُـحمّدِ

1- المصدر نفسه، ص 119.

2- الحميرى، مصدر سابق، ص 124.

فداهُ عِداهُ كم لهُ مِن فـــــضيلةٍ وفضلِ نديّ يُغني به كلُ مُجتدي

فالقافية هنا وردت مطلقة حيث حرف الدال روى وحركته مجرى، والياء الوصل.

أما القافية المقيدة ، فقد وردت في قول ابن هذيل[1]:

بمَحَلَّةٍ خضراءَ أَفْرَغَ حُلْيهَا الـذ هبى صاغة قطرها المَــسكوب
بَسقت عَلَى شرف البلادِ كَأنــما قَامت إلِى ما تحتها بـــخطيب
والروضُ قَد ألِف النَدى فكأنــه عين توقف دمْعها لِـــــرَقيب
مُتخالف الألْوَان يجمع شَــــمله رِيحَان، رِيح صبا ورِيح جنوب
فَكَأنما الصفراء إذ تومى إلى ال بيْضَاء صب جَانح لِـــــحبيب

فجاءت القافية في هذا الأبيات مقيدة حيث حرف الباء هو حرف الروى.

ومن أمثلة القوافي المقيدة أيضاً قول ابن القوطية[2]:

ومضرَّجِ الاثواب مسكيّ النــقَسِ فكأنَّما اشتُقَّت حُلاهُ من الــغَلس
شرِك البنفسج في الاديم فَـــلَونُهُ مِن لَونـه فكأنّهُ منـه اختُلـــس
يسري اذا طرَق الظَلام نـــسيمُهُ ويظلّ يكمَن بالنهار كذِي دُلَس
مُـتَنَكِّراً حتّى المساء وإنـــــما سُلطانُهُ باللَيل فهو من الحَرَس
جنسٌ يـخالفُ كلَّ جِنسٍ في التَع رّي والتـلبُّسـ والتـوحُّشـ ولأُنـــس
فـتـراهُ طُـولَ نـهـارِهِ مُـــــتَجَرّدا من عَرفـهِ ومـع الدَياجي مُلتبِس
وَتَـراهُ طُـولَ نَهـارِهِ مُـــــتَـوَحّشا فاذا دنـا وقتُ الظلامِ لَهُ أَنـــِس
أُنـسَ المَعالي بـابن عامِرٍ الـــذي عَمِرَت بدولَتـه مَنـازِلها الـــدرُس
أُحيي الرياسةَ بالسياسَة فَهو مُفــ صِــحُ لُكـنِهـا بـعـد الحـــــرس

1- حمدى منصور. مجمع اللغة العربية، ص21

2- الحميرى ، البديع، ص 114

وعَلا فلم يَرثِ العُلى والمجدَ عـــن جَـدٍّ لَهُ نـكِـسٍ ولا جـدٍّ تَـــعِس

نُـورٌ تَـوقَّدَ فـاسـتَبانَ بِـــــلمحِهِ ما كان أشكلَ قبل ذلك والتــبس

فقد وردت القافية هنا مقيدة حيث جاء حرف السين هو حرف الروى.

ومن أمثلة القوافى المقيدة أيضاً قول الوزير أبى الأصبغ بن عبد العزيز[1]:

رأيت عباداً لَهُ مـــــــلبس فِى حَشوه الجُود والـــــكَرم

فَقُلت سُبْحان العَزِيز الـــذَى أوْدع ذَا الثوب رَفيع الـــهمم

أرْوع فِى سودده سَـــــابقاً أبْيض مِثل البَدر بَادى الشمم

كَأنَما صفرة أثْـــــــوَابِه وطِيبها نَرجسه إذ تشـــــم

قَد كُنت يَا نَرجس مِن قبل ذا تَبخس مِن حَقك مَا قد عـــلم

فالآن فَافخَر فِى جَميع الوَرى عَلى النَواويرِ وَحَـــاشَاك ذم

بِعز مَن قَد حزت تشـــريفه وَفَضل مَن لا فَارقته النـــعم

فقد وردت القافية في الأبيات مقيدة حيث جاء حرف الميم هو حرف الروى.

ومن القوافي المقيدة أيضاً قول أبو بكر بن القوطية[2]:

زَبرجد فوقه نـــــضار مخلص لَمْ تُذبه نـــار

كَأنَمَا هب مِن كـــــراه وَسنان أَو شفّه انكِسَار

وَطَاب عِند المَشم حـتى للمِسك مِن بينه انـتثار

قَدْ شَارك الدهر فَهَو ليل وَافَاه مِن صبحه اصْفرار

فأَول الخَلق مِنه لـــيل وَمُنتهى خَلقه نـــــهار

أَبْدعه في الرِياض منش لـه عَلى الخلقة اقْـتِدَار

فالقافية هنا وردت مقيدة حيث جاء حرف الراء هو حرف الروى.

1- الحميرى ، البديع ، ص 121.

2- المصدر نفسه، ص 123

ومن القوافي المقيدة أيضاً قول الحاجب أبى الحسن بن جعفر بن عثمان المصحفي[1] {بحر الطويل}:

لَعمركَ مَا فِى فِطرةِ الَروضِ قُدرة تُحُيل بِهَا مَجْرى الزمان عَن الحَد

ولكِنَما أَخْلاقك الغر نـــــبهت بِربعك في كَانون نَائمة الـــــورد

كَأنك قَد أَمْطرتها دِيمة الـــمجد وَأَجْريت في أَغْصانها كرم الـعهد

فالقافية هنا وردت مقيدة حيث جاء حرف الدال هو حرف الروى.

ومن القوافي المقيدة أيضاً قول أبى القاسم بن شبراق[2]:

خجلت إذْ تأملتها الـــــعيونُ خَجلاً فـــــي احـمرارها يـــستبين

وَردة وردت دموعى شـــــوقاً للتِى خـــــدها بـــــها مـــــقرون

بنت غصن يقر بِالكرم الدهــر لـــــــها فِـــــى رِياضها وَالغُصون

وَاستسرت عَن العيون حـــياء وعـــــــرا عرفها الذكـــــى سكون

ســـــــــــــــترت وجهها بِبرْقعها واســـــ ـــــــــــــتَقبلتنا مِن الفتون فنون

كَالفَتاة الحيية انْتقبت كـــــــى لا يُرى وَجهها الـــــجميل المـــــصون

حيث جاءت القافية هنا مقيدة حيث جاء حرف النون هو حرف الروى.

ثانياً: الإيقاع الداخلي: تحدث الموسيقى الداخلية توازناً مهما «إذا كانت الموسيقى الخارجية هي الملموسة التي تتمثل في الأوزان والقوافي والمقيدة بضوابط وحدود معروفة في علمي العروض والقافية، فإن الموسيقى الداخلية تتمثل في تآلف الأصوات والكلمات والتحرر من الضوابط الصارمة مما يحدث توازناً مهماً ورائعاً

1- الحاجب المصحفي الأندلسي. ما تبقى من شعره. ص 40.

2- المصدر نفسه، ص 128.

على المستويين الإبداعي والإيقاعي»[1]، وتتمثل الموسيقى الداخلية عند شعراء النوريات والزهريات في الأندلس من خلال ألوان الموسيقى والبديع والتنويع الموسيقى، ومنها :

- **التكرار:**

مما لاشك فيه أن التكرار «من الظواهر الأسلوبية التي تستخدم لفهم النص الأدبي، حيث يشكل نسقًا تعبيريًا في بنية الشعر التي تقوم على تكرير السمات الشعرية في النص بشكل تأنس إليه النفس»[2] حيث يؤدى «رسالة دلالية غير صريحة، رسالة لا تحملها الأبيات مباشرة ولا تؤديها مفردة بعينها، فالتكرار يقوم بدوره الدلالي عبر التراكم الكمي للكلمة أو الجملة أو الحرف، وعبر الإلحاح على هذا الموضع أو ذاك ينبه المتلقي إلى غاية دلالية أرادها الشاعر وارتأى تأديتها عبر التكرار»[3]، ويقول عمران الكبيسى عن التكرار «يساعد على تحليل شخصية الشاعر وأبعاده النفسية والدوافع الحقيقية التي يخفيها عن الآخرين أو التي لا يشاء أن يفصح عنها فيهدينا إليها التكرار»[4] ، فالتكرار «أبعاد أخرى تتصل بالجانبين اللفظي والمعنوي، أما الجانب اللفظي فيؤدى إلى الإثراء من الإيقاع والموسيقى باعتباره ضرباً من ضروب النغم يترنم به الشاعر ليثرى به جرس الألفاظ وعلى الجانب المعنوي يؤدى إلى توكيد المعنى وترسيخه، إذ أن إعادة ألفاظ معينة فى بناء القصيدة يوحى بأهمية ما تكتسبه تلك الألفاظ من دلالات»[5]، ومن أهم أساليب التكرار:

1- حارث ياسين شكر، موضوعات الحياة اليومية عند شعراء المدرسة الواقعية في العراق، مرجع سابق، ص 194.

2- هدية الله مدحت، بيئة النصارى، مرجع سابق، ص157.

3- كاميليا عبد الفتاح، القصيدة العربية المعاصرة، دار المطبوعات الجامعية، إسكندرية، 2006، ص304.

4- عمران الكبيسى، لغة الشعر العراقي المعاصر، وكالة المطبوعات، الكويت 1982، ط1، ص 182.

5- حارث ياسين شكر، موضعات الحياة اليومية عند شعراء المدرسة الواقعية في العراق، ص 196.

تكرار الحرف:

ومن أمثلة تكرار الحرف، قول ابن هذيل[1]{بحر الطويل}:

كأنَّ حناياها جناحا مصـــــــفّقٍ إذا ألهبتْهُ الشَّمسُ أرخاهما نـــشْرا

كأنَّ سوَاريها شكتْ فترةَ الضَّـــنى فباتتْ هضيماتِ الحشا نُحَّلاً صُـــفرا

كأنَّ الَّذي زانَ البياض نـــــحورَها يُعذبِّها هجراً ويقطعها كـــــــــبرا

كأنَّ النَّخيلَ الباسقاتِ إلى الـــعلا عذارى حجال رجَّلتْ لمماً شُـــــقرا

كأنَّ غصونَ الآس والريحُ بـــينها متونُ نَشاوَى كلّما اضطربتْ سُكـــرا

وهذا النوع من التكرار يلجأ إليه الشاعر «بدوافع شعورية لتعزيز الإيقاع، في محاولة منه لمحاكاة الحدث الذي يتناوله وربما جاء للشاعر عفواً أو دون وعى منه»[2]، والمقصود بتكرار الحرف هو تكرار الحروف بعينها في الكلام، مما يعطى الألفاظ التي ترد فيها تلك الحروف أبعاداً تكشف عن الحالة النفسية للشاعر[3].

- تكرار صوت الراء:

وهو صوت مكرر مجهور منفتح بين الشدة والرخاوة، من الأصوات المائعة الدال في الغالب على الحركية والتكرار والاضطراب وعدم الثبات، وقد سمي عند العرب قديما " الصوت المكرر"، وفسروا ذلك بقولهم: «وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير».[4]

1- ابن هذيل. شعره ، ص 39. 84.

2- عبد القادر على زروقى، أساليب التكرار في الديوان (سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا) لمحمود درويش، رسالة ماجستير، إشراف علي خذري، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، 2012، ص 49.

3- ينظر: حارث ياسين شكر، موضعات الحياة اليومية عند شعراء المدرسة الواقعية فى العراق، ص 196.

4- ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص72.

وهذا التكرار جاء متناغماً مع القصيدة التي يحكى فيه عن جمال الحديقة التي دخلها واستمتع بمناظرها الخلابة.

من تكرار الحرف أيضا قول المعتمد بن عباد[1]:

أَسقيط الطَل فَوق النرجِس أمْ نسيم الروض تَحت الحندس

أمْ نظـام للآل نـــــــسق جَامع كُل خطير مـــــــنفس

أمْ قَريض جَاءنى عَن ملــك مَالك بِالبر رق الأنـــــــفس

تكرار الشاعر صوت السين:

وهو صوت رخو مهموس منفتح صفيري، يحمل دلالة الجمال والجلال التي رغب فيها الشاعر وانتظرها لتغدق عليه بأسرار وخبايا تحيل إلى عذوبة النفس ورقتها ويتصف بنوع من العذوبة والرهافة والخفة، مشحونا بأجواء نفسية هادئة وحزينة، مما يزيد القصيدة جمالا وبهاء، من خلال بحث الشاعر عن هذا الجمال المتثل في الأزهار، ليؤكد على معاتبة المعتمد لصديقه ابن زيدون.

- **تكرار الكلمة:**

وهذا النوع من التكرار من أكثر أنواع التكرار شيوعاً حيث يكون «بتكرار كلمات يتخيرها الشاعر تخيراً موسيقياً لتؤدى بجانب دورها في بناء الصورة الشعرية إلى توفير إيقاع موسيقى خاص بكل بيت على حدة»[2]، ومن أمثلة تكرار الكلمة ، قول ابن عبد ربه[3]{بحر البسيط}:

ورَوْضة عَقَدت أَيْدِى الرَبِيع بِها نوراً بنور وتزويجاً بتزويج

1- المعتمد ابن عباد، الديوان، ص 57.

2-حسنى عبد الجليل، موسيقى الشعر العربي، ج 1 ، ص 167.

3- ابن عبد ربه، الديوان، جمعه وحققه محمد رضوان الداية، مؤسسة رسالة، بيروت، 1979، ط 1، ص 37.

فهنا كرر كلمة نور مرتين وكذلك كلمة تزويج والتكرار هنا ليدل على مدى اغماس واندماج الطبيعة مع الربيع وذلك في خلق صورة لتلك المناظر الرائعة قامت على التكرار.

ومن أمثلة تكرار الكلمة أيضاً قول أبو بكر بن القوطية[1]:

فتراهُ طُولَ نهارِهِ مُتَجَرّدا ... من عَرفهِ ومع الدَياجي مُلتبِس

وَتَراهُ طُولَ نَهارِهِ مُتَوَحّشاً ... فإذا دنا وقتُ الظلامِ لَهُ أَنِس

أُنسَ المَعالي بابن عامرٍ الذي ... عَمِرَت بدولَته مَنازِلها الدرُس

أُحيي الرياسةَ بالسياسَة فَهو مُف ... صِحُ لُكنِها بعد الحرس

كرر الشاعر كلمة نهاره، ليدل على ما يفعله ابن عامر في نهاره وذلك تعظيماً منه له وامتناناً على أفعاله في نهار يومه.

وللشاعر أبو بكر بن القوطية نموذج آخر في تكرار الكلمة[2]:

فَصْل القَضية أنْ هَذا ممتع ... فَصْل الرَبيع وكل نور بائد

يأتي ونوار الربى مُتزحزح ... وَكَذَا الرئيس من المشابه واحد

هَذا مقر للسَمَاء بِفضلها ... في مَا غذته به وهذا جاحد

وترَى تباين ذَاك فِى وجهيهما ... باللون والنشر الذى هو شاهد

كمْ بين مصطنعين هَذَا كَافر ... إفضال سَيده وَهَذا حامد

هَذَا له حلق العجوز وَهَذِه ... عَذْراء فِى حمر المجاسد ناهد

وَكَفَى افْتِخاراً أن هذا نافق ... غضاً ومبتذلاً وهذَا كاسد

1- ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ص 114.

2- الحميرى، كتاب البديع في وصف الربيع، ص 21.

فالشاعر كرر هنا اسم الإشارة هذا في كل بيت تقريباً من الأبيات فورد في البيت الأول والثالث مرتين وفى البيت الرابع ذاك اسم إشارة، وفى البيت الخامس مرتان وكذلك السابع والثامن وكل ذلك في إشارة إلى جمال النرجس والطبيعة.

من التكرار أيضاً قول زياد بن أفلح [1]:

فَاجأنى كَانون بِـــــالوردِ فَزَادنى وجداً إلى الوَجْدِ

وَرَدَ العُلَى أَهْدَى لَنَا وَرْدَةً يَا حبّذَا الوَرْدُ مِنَ الوَرْدِ

فالشاعر هنا كرر كلمة الورد في البيتين خمس مرات وهذا دلالة على حبه لصديقه الذي أهداه الورد ودلالة على مقدار أهمية الورد في التعبير عن المشاعر.

1-الجناس:

الجناس ضرب من ضروب التكرار، يقوم على مستوى الأصوات والكلمات، فيحقق سلسلة محكمة لها رنينها الإيقاعي المتميز. ويزيد على التكرار بأنه يوجد نوعًا من الانسجام بين المعاني العامة ورنة الألفاظ العامة، وذلك لما فيه من عاملي التشابه في الوزن والصوت، والتي تعد من أقوى العوامل في إحداث هذا الانسجام[2]، وهو «تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى»[3]، وهو «على نوعين أحدهما: ما اتفق فيه اللفظان في أنواع الحروف وأعدادها وهيئتها الحاصلة في الحركات والسكنات وهو الجناس التام، والآخر: ما اختلف فيه اللفظان في واحد مما ذكر وهو الجناس الناقص»[4]، والجناس من ألطف البديعيات وأعلاها مرتبة .

1- الحميرى، المصدر نفسه، ص 125.

2- ينظر: عبدالله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الآثار الإسلامية، الكويت، الطبعة الثالثة، 1989، الجزء الثاني، ص261، 262.

3- عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص187.

4- مجدى وهبه وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 138.

الجناس التام: مثل قول ابن شهيد[1]:

مِنْ بَاسم باك إليــ ـك ند وباك وهو باسم

فهنا ورد الجناس التام بين كلمة باسم وباسم حيث باسم بمعنى ثغر وكلمة باسم الأخرى بمعنى ضاحك أي مبتسم والجناس يحدث جرساً موسيقياً تطرب له الأذن وتسعد له النفس.

من أمثلة الجناس التام أيضاً، قول ابن هذيل[2]{بحر الكامل}:

مُتخالف الأَلْوَان يجمع شمله رِيحان ، ريح صبا وريح جنوب

فهنا جناس تام بين كلمة ريح وريح حيث كلمة ريح الأولى بمعنى ذكريات الصبا وكلمة ريح الأخرى بمعنى الرياح التي تهب من الجنوب، وقد أعطى الجناس جرساً موسيقياً أطرب الأذن .

من الجناس التام أيضاً قول أبو عبد الله بن مسعود[3]:

الآس آس لأسى كل فؤاد مكتئـب

في كل فصل زاهر وما سواه منقلب

فوقع الجناس التام هنا بين ثلاث كلمات أى بين الثلاث كلمات التى فى الشطر الأول حيث كلمة الآس الأولى بمعنى نبات الآس وكلمة آس الثانية بمعنى مواساة وكلمة لأسى الثالثة بمعنى الاحتياج والبؤس، ويعتبر هذا الجناس التام من أجمل أمثلة العربية لما يحويه من بلاغة شعرية.

ومن الجناس التام أيضاً قول زياد بن أفلح[4]:

1- ابن شهيد الديوان، مصدر سابق، ص 89.

2- يحيى بن هذيل الأندلسى، شعره. 74 .

3- الحميرى، البديع في وصف الربيع، ص 90.

4- الحميرى، مصدر نفسه، ص 125.

ورد العلى أهدى لنا وردة يا حبذا الورد من الورد

فالجناس التام وقع هنا بين كلمتي الورد والورد حيث الورد الأولى بمعنى نبات الورد أما الثانية بمعنى أن صديقه الذي أهداه الورد هو أيضاً ورد، وهذا أعطى جرس موسيقى أطرب الأذن وأسعد النفس.

أما الفقيه أبو الحسن بن على اليقول[1] :

فإن أوحشت من شمس تبدت عليك بشمس كبرها العقار

فوقع الجناس هنا بين شمس وشمس فالأولى بمعنى الشمس التي في كبد السماء وشمس الثانية بمعنى الخمر حيث يشبهها بأنها مثل الشمس.

- التصريع:

هو «ما كانت عروض البيت فيه تابعه لضربه»[2]، يقول عنه قدامة بن جعفر: «وإنما يذهب الشعراء المطبوعون المجيدون إلى ذلك، لأن بنية الشعر إنما هي التسجيع والتقفية فكلما كان الشعر أكثر اشتمالاً عليه، كان أدخل له باب الشعر وأخرج له عن مذهب النثر»[3]، ومن أمثلة التصريع قول ابن عبد ربه[4]:

رَياحين أهْديها لريحانة المجد جنتها يَد التخجيل من حمرة الخد

وَوَرد بِـــه حيّيـت غرَّة ماجـــد شَمائله أذكى نسيماً من الـــــورد

فالتصريع وقع هنا في اتفاق نهاية الشطرين بحرف الدال فوقع بين كلمتي (المجد) و(الخد).

1- الحميرى، مصدر نفسه، ص 96.

2- ابن رشيق القيروانى، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محى الدين، دار الجبل، سوريا، ط 5، 1981، ص173

3- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجى، دار الكتب العلمية، ص90

4- ابن عبد ربه، الديوان، ص 32.

من أمثلة التصريع أيضاً قول ابن عبد ربه[1]:

بَاكر الروض في رياض السرور بين نظم الربيع والمنشور

فوقع فالتصريع وقع هنا في اتفاق نهاية الشطرين بحرف الراء فوقع بين كلمتي (السرور) و(المنشور).

أما أبو دراج القسطلى فقال[2] :

شَكْلان مِن راح وروضة نرجس يَتنازعان الشبه وسط المجلس

فوقع التصريع باتفاق نهايتى شطر البيت.

أما الوزير أبو مروان عبد الملك بن جهور قال[3] :

اصْفر حَتى كأن الإلف يــهجره وطَاب حتى كأن المسك ينثره

واخْضر أسْفله من تحت أصفره فــراق منظره الباهى ومخبره

فوقع التصريع باتفاق نهايتى الشطرين حيث حرف الهاء في نهاية كل شطرة.

أما أبو بكر بن نصر فقال[4] :

أُب من الإخوان ندباً مبادراً نقى الحلى مجــما يدنس طاهرا

يلم بليل للمُدام مـــــنادماً وينفض عنى حين يصبح ســائرا

فوقع التصريع بين نهايتى شطرى الأبيات.

أما أبو على إدريس بن اليمانى قال[5]:

مَراشف الخيرى حو لــعس كأنه قد قبلته الشــــــــمس

أوْ نفست للمِسك فِيه نفس الطيب في الليل عليه حــبس

1- ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ص 87.

2- ابو دراج القسطلي، الديوان، ص 120.

3- الحميرى، البديع في وصف الربيع، ص 119.

4- المصدر السابق، ص 116.

5- الحميرى، المصدر نفسه، ص 115.

وَماله تحْتَ النهار حـــس كَأنما الضوء عليه حـــــبس

فوقع التصريغ في كافة مقطوعته حيث انتهت كل شطر من شطور الأبيات بحرف السين فبتالي وقع التصريع بين الأبيات.

ومن التصريع قول ابن دراج القسطلى[1]:

غَدا غيْر مُسعدنا ثم راحا يُساعدنا طرباً وارتياحا

فوقع التصريع بين شطري الأبيات.

أما الفقيه أبو الحسن بن على قال[2]:

ألاَ حبَذا المحبوب نور البنفسج وأحبب بمرآه البديع وأبهج

فوقع التصريع باتفاق صدر البيت وعجزه في حرف الجيم .

أما الوزير الكاتب أبى الأصبغ فقال[3]:

وبَنفْسج أربى على النوار وأفادنا عطراً بلا عطار

فوقع التصريع باتفاق نهايتي شطر الأبيات.

- الطباق والمقابلة:

الطباق تضاد كلمتان في المعنى « وهذا اللون الإيقاعي يعتمد على التضاد في المعنى دون أن تكون هناك مطابقة صوتية بين الألفاظ في الغالب، لأجل ذلك فإن الإيقاع الموسيقى للطباق أقل بكثير من نظيره في المقابلة»[4]، ومن أمثلة الطباق ، قول ابن عبد ربه[5]:

1- المصدر نفسه. ص 115.

2- المصدر نفسه، ص 110.

3- المصدر نفسه، ص 109.

4-على الغريب، الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003،ص265

5- ابن عبد ربه الديوان، ص 85.

يُقيم الدجى أعْنَاقَها ويميلها شُعَاع الضُحى المستن في كل شارق

فبين الدجى والضحى طباق يبرز المعنى ويوضحه عن طريق التضاد.

وقول ابن عبد ربه أيضاً[1]:

حكت أرضها لون السماء وزانها نجوم كأمثال النجوم الخوافق

فبين الأرض والسماء طباق يبرز المعنى ويوضحه عن طريق التضاد.

أما ابن هانئ فقال[2] :

رياض يضاحكن الغزالة بعدما بكت فوقها عين السماء بأربع

فبين شطري البيت مقابلة.

أما أبو بكر بن القوطية فقال[3] :

يَسْرى إذا طرق الظلام نسيمه ويَظل يكمن بالنهار كذى دلس

فبين شطرى البيت مقابلة حيث الأول إذا كان الظلام خرج النسيم والشطر الثاني إذا جاء النهار تخبى ولم يظهر فبين شطري البيت مقابلة تبرز المعنى وتوضحه عن طريق التضاد.

من الطباق أيضاً قول يوسف بن هارون الرمادي([4]):

رياض يضاحكن الغزالة بعدما بكت فوقها عين السماء بأربع

فبين الفعل ضحك وبكى طباق يبرز المعنى ويوضحه عن طريق التضاد.

1- المصدر نفسه، ص 96.

2- ابن هاني، الديوان، ص98.

3- الحميري، البديع، ص 114.

4- يوسف هارون الرمادي، الديوان، ص 85.

- حسن التقسيم:

حسن التقسيم هو أن تكون جمل البيت الشعرية متساوية في الطول والإيقاع والوزن، ومن أمثلة حسن التقسيم قول ابن دراج[1]:

متباهيين تلوناً بتـــــــلون مـــــــــــتبارين تنفساً بتنفس

فكأنها من حد سيفك تلتظى وكأنه من طيب خلقك يـــــكتسى

فقد وقع حسن التقسيم في البيت الأول حيث جاءت الكلمة الأولى مساوية تماماً للكلمة الأولى في الشطرة الثانية وكذلك الكلمة الثانية والثالثة فقد تساو في الطول والإيقاع، ثم ننتقل للبيت الذي يليه فنجد أنه نفس عدد الحروف والكلمات وحرف الجر من بالتساوي المطلوب، وهنا يظهر حسن التقسيم في الأبيات وقد أعطى حسن التقسيم نغماً موسيقياً أضفى على الأبيات سحراً وجمالاً.

من حسن التقسيم أيضاً قول ابن زيدون[2]:

أسقيط الطل فوق النرجس أم نسيم الروض تحت الحندس.

فقد وقع حسن التقسيم هنا باتفاق شطري البيت بنفس عدد الكلمات وبنفس الطول وحتى بنفس الإيقاع مع تشابه كبير للألفاظ بين الشطرين.

من حسن التقسيم أيضاً قول ابن شهيد الأندلسي[3]:

وافاك في زمن عجيب مونق وأتاك في زهر كريم ممتع

فقد وقع حسن التقسيم بين شطري البيت نظراً لتساويهم في الطول والإيقاع.

1- ابن دراج القسطلي، الديوان، ص 67.

2- ابن زيدون، الديوان، ص 42.

3- ابن شهيد الأندلسى، ديوانه ورسائله، ص 94

رابعا-اللـــغة:

تحتل اللغة الشعرية مكانة ممة في بناء القصيدة وتشييدها فهي المادة الأولية في إقامة الإبداع الكوني خاصة الشعر فلغة الشاعر لغة ثرية تختلف عن باقي المجانين ولعل الشاعر الأندلسي هو أحد هؤلاء الشعراء.

اللغة: لغة الشعر كما يقول على الغريب هي لغة الانفعال والوجدان لذلك فهي لغة إيحائية جمالية؛ لأنها تثير فينا الإحساس بالصور جمالية، ولأنها تستخدم الألفاظ استخدامًا مجازيًا في نسق معين تصبح فيه الكلمة مغايرة لمعناها المعجمي، «فاللغة هي وسيلة الشاعر الأولى للتعبير عمَّا يختلج في نفسه من أحاسيس ومشاعر.

والكلام عن العناية باللغة وأهميتها ليست وليدة الصدفة، كما أنها ليست حديثة العهد، بل لها امتداد تاريخي قديم يعود إلى أزمنة سابقة، وذلك لما للغة من أثر كبير على العمل الأدبي، ولعلنا لا نغالي إذا قلنا بأنَّ اللغة الشعرية من أخطر أركان العمل الأدبي، وهي اللبنة الأولى في البناء الفني لأي عمل إبداعي، فمن خلالها يستطيع الأديب أن يتواصل مع القارئ بما يضمن مد جسور التلاقي بينهما، ولعلَّ هذا ما يرنو إليه العمل الأدبي ويحقق له سيرورته وعالميته بين الأعمال الأدبية الخالدة»[1]، انعكاس الحضارة بأشكالها على المجتمع الأندلسي وتوظيف الألفاظ من معجم الطبيعة والزهريات والنوريات على الأدب العربي من السمات التي طرأت على الأدب في هذا العصر.

وقد تطرق ابن شهيد إلى الحديث عن الزهريات والنوريات ومزج الشعر بعبق تلك الرائحة في شتى أشكالها ومنحنياتها ما كان دافعًا للشعراء في الأندلس وملهما

1- حارث ياسين، موضوعات الحياة اليومية عند شعراء المدرسة الواقعية، ص343.

لهم، ولعل من الأبيات الشعرية التي حرص فيها الشاعر على إيصال إحساسه[1]، القصيدة التى ألقاها ابن شهيد قائلاً[2] :

وأتاك بالنيروز شوق حـــــــافر وتطلع للزور غب تـــــطلع

وافاك في زمن عجيب مونـــــق وأتاك في زهر كريم مـــــمتع

فانظر إلى حسن الربيع وقد جلت عن ثوب نور للربيع مـــجزع

فكأن نرجسها وقد حشدت بـــــه زهر النجوم تقاربت في مطلع

أو أعين الأحباب حين تراســـلت باللحظ تحت تخوف وتـــوقع

وبها البنفسج قد حكى بـخضوعه وقنو لون فى سواد مـــشبع

خد الحبيب وقد عضضت بـــحنة فشكا إليك بأنه وتـــــــوجع

وكأنما خيريها تحت الـــــــدجى بين الأزاهر قام كـــالمتطلع

يرجو زيارة من يحب لـــــــوعده كلفاً فبات مراقباً لم يـــهجع

فقد تشابهت لغة الشعراء إلى حد كبير في الوصف والتعبير عما في صدورهم نحو الزهريات والنوريات، فجاءت ألفاظهم متقاربة بعض الشئ وهذا لا يعد عيباً على شعرهم ، فالزهور أسماؤها لا تتغير والتكرار لا يعيب أحد المهم هو الابتكار في المعاني والأخيلة، ولقد وظف كل شاعر الزهريات والنوريات حسب الغرض الذي يخدم قصيدته، ولكن تظل مجموعة من الأسماء التي اتفق عليها هي محور التغيير.

من لغة الشعراء القصيدة التي قالها الفقيه أبو الحسن في قوم ذهبوا للشرب حيث تشعر في هذه القصيدة بلغة مقاربة لشعراء الزهريات والنوريات لكن مع وجود لمحة خاصة به فيها وباختيار بعض من الألفاظ الغريبة في القصيدة قال[3]:

1- ينظر: هدية الله مدحت محمد ، بيئة النصارى ، ص 168.

2- ابن شهيد الأندلسى، الديوان ورسائله، ص 94 .

3- الحميرى، البديع في وصف الربيع. ص 96 .

وشرب أدلجوا للأنس لـــــما أصيغ على يد الشجر الدمار

سرت بهم إلى ثغر الـتصابى ركاب لا يخاف لها عـــــثار

فحلوا آمنين على الأمـــــانى فكان لهم من الشجر انتصار

عريش الياسمين لهم سـماء وخضرة أرضه لهم قـــــــرار

به جحف من النوار بـــــيض مفضفضة وأرماح صـــــغار

فوجه نهارهم بالظل لـــــــيل وليلهم بأنجمه نـــــــــهار

فإن أوحشت من شمس تبدت عليك بشمس كبرها العقـــار

وما شهد الكرام وغى كـحرب جراح المقصدين بها جـــبار

فنلاحظ هنا أن لغة الشاعر كانت لغة خاصة به أضاف لها من لمحته الخاصة مع التداخل في لغة شعراء الزهريات والنوريات، ومن القصائد التي كانت لغتها سلسلة القصيدة التي قالها الوزير أبو عامر بن مسلمة حيث اقتربت ألفاظها من الشهولة والفهم مع احتفاظ القصيدة برونقها وجمالها واختياره لقافية ليست من السهولة حيث حرف الظاء في اللغة العربية ليس حرف متداولاً قال[1]:

يا واحد الأدباء غير مـــــــدافع ومن اغتدى في الفهم نـاراً تلتظِى

وافانى الشعر البديع نـــــظامه فأزاح عنى كل أمرٍ مـــــــحفظ

فخراً لورد الروض إذحار الـــمدى ببدائع من ذهنك المـــــــــتيقظ

الورد عندى في الخدود نـــفاسة ورياسة مهما يقس أو يـــــلحظ

هو آخر وله الـــــــــتقدم أولاً كم آخر قد حاز مفخر من حـظى

وقد اعتمدت على الذي خبـــرت في نظمك الزارى بلفظ اللـــــفظ

وفضضتها صفراء يعشى ضوءها حدق العيون الرانيات اللـــــحظ

1- الحميرى، المصدر السابق، ص 131.

-المعجم الشعري:

المعجم الشعري هو القاموس اللغوي للشاعر ويتكون من خلال ثقافته وبيئته ومناخه الذي يعيشه، فالمعجم الشعري ليس متكررًا عند الشعراء بالصيغة نفسها ولكنه أداة الشاعر الخاصة التي تعد معيارًا بين شاعر وآخر، كما يعد من أهم الخواص الأسلوبية التي على أساسها يمكن الحكم على شاعر ما وبيان ملامحه الخاصة[1]، كانت القصيدة التقليدية اختارت لنفسها طائفة من الألفاظ سارية المفعول، وصدق من قال إن الشاعر ابن زمانه وذاك صحيح في أكثر الأحوال إن لم يكن كلها فما دام الشاعر يستمد غذاء قريحته من الحياة فهو لا يقدر -حتى ولو حاول ذلك - إلا أن يعكس أشعة تلك الحياة في أشعاره ، ومن خلال تلك الحياة ينتج القاموس الشعري للشاعر[2].

ومن أبرز الحقول الدلالية التي تشكل منها المعجم الشعري لدى شعر الزهريات والنوريات :

1/ الألفاظ الدالة على الزهريات: حاول الشعراء توظيف الزهريات في شعرهم لخدمة أغراضهم «أقبل الشعراء على توظيف الكلمات التي تخدم المعنى وتخدم القصيدة أو المقطع الذي يخدم غرضهم في إيصال المعنى أو في توضيحه، أو في إيصال الفكرة التي تمحور حولها وصف ما يدور حولهم»[3]، ومن ذلك قول ابن زيدون[4] :

ليسق عهدكم عهد السرور فمـا كنتم لأرواحنا إلا ريـــــــاحينا

1- انظر: بروين حبيب، تقنيات التعبير في شعر نزار قباني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، انظر: ميخائيل نعيمة، الشعر والشعراء، نظرية الشعر، مرحلة الإحياء والديوان، ص30، ص52

2- هدية الله مدحت محمد، بيئة النصارى، ص 171 .

3- هدية الله مدحت محمد ، مرجع نفسه ، ص 172.

4- ابن زيدون، الديوان، ص 299.

ربيب ملك كأن الله أنـــــــشأه مسكاً وقدر إنشاء الورى طـــينا

أو صاغة ورقاً محضاً وتـــوجه من ناصع التبر إبداعاً وتحسيناً

كأنما أثبتت فى صحن وجـــنته زهر الكواكب تعويذاً وتـــــزيينا

ما ضر أن لم نكن أكفاءه شرفاً وفى المودة كاف من تـــكافينا

ياروضة طالما أجنت لــواحظنا ورداً جلاه الصبا غضاً ونسرينا

ويا حياة تملينا بـــــــــزهرتها منى ضروباً ولذات أفـــــانينا

فقدم ابن زيدون وصفاً لزهرات مختلفة الأسماء والأنواع مثل الريحان والمسك والزهر والرياض والنسرين والأزهار

ومنه أيضاً قوله[1] :

ورامشة يشفى العليلَ نـــــــسيمُهَا مضخمَّة الأنفاسِ طيّبة الـــــنشْرِ

أشارَ بها نحوِى بنانٌ مـــــــــنعُم لأغْيَدَ مكْحولِ المِدامع بالـــسّحْرِ

سرَتْ نضرةٌ من عهدها فى غصُونها وَعُلّتْ بِمسكٍ من شَمائِلِه الـــزُّهْرِ

إذا هَو أهدَى الياسمينَ بـــــــكفّهِ أخذت النجوم الزهر من راحة البدر

فأشار ابن ويدون إلى الريحان والزهر والياسمين، وفيما يلي جدول بأهم الألفاظ الدالة على الزهريات:

الألفاظ الدالة على الزهريات	
الآس	المسك
الورد	الروض
النخيل	الجلنار
سوسن	النرجس

1- الديوان ابن زيدون ، المصدر السابق ، ص 102

زهرة	ريحان
البنفسج	كافور

– الألفاظ الدالة على النوريات: منه كما قال ابن دراج[1]:

بهار يروق بمسك ذكـى وصنع بديع وخلق عجب

وغصون الزير قد أورقت لنا فضة نورت بالـذهب

فالألفاظ التي استخدمها مثل بهار ومسك وغصون الزير التي تورق كما الفضة المنيرة بالذهب

منه أيضاً قول ابن شهيد[2] :

وأتاك بالنيروز شوق حـافر وتطلع للزور غب تـطلع

وافاك فى زمن عجيب مـونق وأتاك فى زهر كريم مـمتع

فانظر إلى حسن الربيع وقد جلت عن ثوب نور للربيع مـجزع

فكأن نرجسها وقد حشدت بـه زهر النجوم تقاربت فى مطلع

أو أعين الأحباب حين تـراسلت باللحظ تحت تخوف وتـوقع

وبها البنفسج قد حكى بـخضوعه وقنو لون فى سواد مـشبع

خد الحبيب وقد عضضت بـحنة فشكا إليك بأنه وتـوجع

وكأنما خيريها تحت الدجـى بين الأزاهر قام كـالمتطلع

يرجو زيارة من يحب لـوعده كلفاً فبات مراقباً لم يـهجع.

فالشاعر استخدم كلمات مثل الزهر والنرجس والبنفسج والخيرى والأزاهر وكلها ألفاظ تندرج تحت النوريات ، وفيما يلي جدول بأهم الألفاظ الدالة على النوريات:

1– الحميرى ، البديع ، ص 104. ابن دراج الأندلسي .الديوان. 32.

2– ابن شهيد الأندلسى، ديوانه ورسائله ، ص 94.

الألفاظ الدالة على النوريات	
بهار	خيرى
زهر النجوم	أقاح
الياسمين	غصون الزير
نسرين	رامشة

خامسا: الصورة الشعرية

الصورة لها دور بالغ الأهمية فى تحليل الأعمال الأدبية حيث تعددت التعريفات لها وتعددت الأقوال عليها «يكاد يكون هناك إجماع على صعوبة إيجاد تعريف شامل للصورة، ولعل هذه الصعوبة كامنة فى كثير من المصطلحات الأدبية»[1]، فمعاني الصور لا يستطيع الباحث بالسهولة الوصول إليها «فالوصول لمعنى الصورة ليس باليسير الهين، ولا السهل اللين، ومن قال ذلك فقد احتجبت عنه أسرار اللغة وجمالها المكنون المستسر ، وروحها المتجددة النامية ، وليس لها _ كما عند المناطقة _ حدود جامعة ، ولا قيود مانعة »[2].

ولا شك أن الصورة الشعرية تلعب دوراً مهماً في الأعمال الأدبية بكافة أنواعها

فـ «الصورة أمر متعلق بالأدب وجماليات اللغة والتطور الحادث فى كليهما لا يلغى القديم بل يتعايش معه ويسير بجانبه»[3]، ويقول الراغب الأصفهانى «الصورة ما ينتقش به الأعيان ويتميز بها غيرها، وذلك ضربان: أحدهما محسوس يدركه الخاصة والعامة بل يدركه الإنسان وكثير من الحيوان كصورة الإنسان والفرس

1- إبراهيم أمين الزرزمونى ، الصورة الفنية فى شعر على الجارم ، دار قباء للطباعة ، القاهرة ، ط 1، 2000 ، ص 91.

2- علي علي صبح ، الصورة الأدبية تأريخ ونقد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، ص 5.

3- إبراهيم أمين الزرزمونى ، الصورة الفنية في شعر على الجارم، ص91.

والحمار بالمعاينة، والثاني معقول يدركه الخاصة دون العامة كالصورة التي اختص الإنسان بها من العقل والروية والمعاني التي خص بها شئ بشئ»[1].

وقد أشار الجاحظ إلى الصورة من خلال نظرته للشعر حيث عندما بلغه أن أبا عمرو الشيبانى استحسن بيتين من الشعر لمعناهما مع بلاغتهما علق قائلاً: «المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفى صحة الطبع وجودة السبك فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير»[2].

أما قدامة بن جعفر فقد حظي حظو الجاحظ حيث قال إن المعانى كلها مبسوطة للناس والفضل يعود لمن يستطيع إخراجها في قالب فني وعلى ذلك يقاس مدى نجاح أو إخفاق الصورة «إذا كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة كما يوجد في كل صناعة من إنه لابد فيها من شئ موضوع يقبل تأثير الصور منها مثل الخشب للنجارة »[3].

- مصادر الصورة عند شعراء النوريات والزهريات:

مصادر الصورة الشعرية تأتى وتحدث نتيجة انسجام الشاعر ببيئته ونتيجة التمازج والتفاعل معها فتكون تلك هي منابعه التي تكون الصورة الشعرية لديه.

1- الراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلانى، دار المعرفة، بيروت ، مادة

2- الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، المجمع العلمى العربى الإسلامى ، بيروت ، ط 3 ، 1969 ، ج 3، ص 13

3- قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق : عبد المنعم خفاجى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 65.

- **الطبيعة :**

الطبيعة هي «قسم من العالم قادر على أن يحرك في الإنسان إحساسه الفني»[1]، والطبيعة بوصفها أدبياً «موضوع أثير متجدد مع الأزمنة رائج فى المذاهب النثرية والشعرية ، كما هو شائع في الرسم ، تناوله الأدب واستفاض فيه، وعبر عنه تعبيراً صنعياً بارداً أو استغرق فيه وحوله إلى كائن حي يتفاعل مع صاحب الأثر ويندمج في مشاعره »[2].

وباعتبار الطبيعة هي المصدر الأول للوصف «الوصف نزعة فطرية ملازمة لطبيعة الذات الإنسانية بها يكتشف الإنسان العالم، إنسان البداوة اكتشف العالم عن طريق المقابلة والتشابه والتماثل، فقابل وشابه وماثل بين أشياء الوجود وكون الأفكار المجردة»[3].

والطبيعة قسمان:

(أ) الطبيعة الحية:

وهي كل ما به روح من الطبيعة مثل الإنسان والحيوان والنبات والطيور وغيرها.

استعمل الوزير الكاتب أبى الأصبغ الطبيعة الحية في شعره قائلاً[4] :

وَبَنفْسج أربى عَلى النـــــــوار وَأفادنا عطراً بلا عـــــطار

فَكَأَنَما أعْلام فِى فَـــــــيروزج وَبساطه فِى خضرة الأشجار

وَافَاكَ فِى وَقْت الزِيارةِ قَـــــائماً وَقَد انْحنى للوَحّى بالأسـرار

1- جبور عبد المنعم ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1979 ، ص 163

2- المرجع السابق، ص 163.

3- ساسين عساف، الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1982م، بيروت، ص21.

4- الحميرى ، البديع ، ص 109

هَوَ مَسْكة خلقت لَهَا أوْراقـــها فِى لَونِها مِن صنعة الجبار

أوْ رُقعة زرقَاء مِن كَبد الســـما فِى يَوم صَحو فتنة النــظار

أوْ لمة الحَسْناء تَحْسب وسـطه للزَعْفران مَوَاضِع الآثـــــار

أوْ لجة كحلاء هزتها الـــــصِبا فَتَكسرت لِيناً على مـــــقدار

أو ْدرع حَاجِبنا أَتَتْهُ صـــــقيلة وَقَد انْبَرى للفَتْكِ بالكـــــفْار

مَلك قُلوب الأسد بَيْن ضـــلوعه وَبِوجهه قَمر مِنْ الأَقْـــمار

فإّذا سَطَا فالصبح داج مظلـــــم وَإِذَا عَفَا فالليل في إســـفار

فابن أبى الأصبغ يبدأ قصيدته بالبنفسج الذي هو نوع من أنواع الزهور ويصف الأشجار والأوراق ويصف اللون البديع والمنظر الرهيب ولا يفوته الوصف حينما استخدم الزعفران وهو نبات ليصف به ما يريد ثم يكمل واصفاً لبنفسج كأنه أسد وكأنه ملك الليل والنهار والمقطوعة الشعرية تمازج بين الطبيعة الحية والجامدة ولكن يغلب عليها الطبيعة الحية.

من الطبيعة الحية أيضاً قول ابن زيدون[1]:

وشادن أسأله قـــــــهوة فـــجاد بالقهوة والورد

فبت أسقى الراح من ريقـه وأجتنى الورد من الخد

يعتبر البيتان صورة من صور الطبيعة الحية حيث شادن هو الغزال ويقصد به الساقى ثم القهوة والورد والخد كل هذه أشياء تصور الطبيعة الحية في صورها المتعددة.

أما يحى بن هذيل فقال[2]{بحر الطويل}:

كأنَّ حناياها جناحـــا مـــــصفِّـقٍ إذا ألهبتْهُ الشَّمسُ أرخاهمـــا نـــشْرا

1- ابن زيدون ، الديوان، ص 68.

2- يحي بن هذيل. شعره ، ص 84.

كأنَّ سوَاريها شكتْ فترةَ الـــــضَّنى فباتتْ هضيماتِ الحشا نُحَّلاً صُفـرا

كأنَّ الَّذي زانَ البياض نـــــــحورَها يُعذبِّها هجراً ويقطعها كـــــــــبرا

كأنَّ النَّخيلَ الباسقاتِ إلى الـــــعلا عذارى حجال رجَّلتْ لمماً شُـــــقرا

كأنَّ غصونَ الآس والريحُ بـــــينها متونُ نَشاوَى كلّما اضطربتْ سُـكرا

كأنَّ جنيَّ الجـــــــــــلّنار ووردِه عشيقان لما استجمعا أظهرا خــفرا

حديقة نفس تَملأ النفس بَـــــهجة وتثنى عيون النَاظرين بِها حــسرى

كأنَّ جنى سوسانها فِى سنا الضحى كؤوس مِن البلور قَد حشيت تــبرا

كأنَّ عيون النرجسِ الغض بالنـــدى عيون تدارى الدمع خفية أن يــرى

كأنَّ جنى الخيرى فى عبش الدجــى نسيم حبيب زار عاشقة ســــــــرا

كأنَّ ينـــابيعَ المـــــــياه مــراجل تفور وقد أذكت لهــن الحصى جمرا

تعج الأبيات بالطبيعة الحية حيث بدأها بالتشبيه بأجنحة الطير ثم النخيل وغصون الآس والجلنار والسوسن والنرجس والخيرى والمياه كلها ترسم صورة رائعة الجمال لروضة فاتنة تملأها الحياة.

أما ابن عبد ربه فقال[1] :

أى تفاح ورمـــــان يجتنى من خوط ريحان

أى ورد فوق خد بـدا مستنيراً بين ســـوسان

فتتجلى الطبيعة الحية في التفاح والرمان والريحان والورد والخد والسوسن فالطبيعة تمتزج بالإنسان بالجمال على حد تعبير ابن عبد ربه.

أما يوسف بن هارون الرمادى فقال[2]:

عَلَى رَوْضةٍ قامت لنا بدرانـــــك وَقَام لنا فِيها الذباب بـــــمسمع

1- ابن عبد ربه، الديوان، ص 166-167.

2- يوسف بن هارون الرمادى، شعره. ص 85.

إذَا مَا شربنا كَأسنا صب فضـــلها عَلى فصصنا للمسمع الـــمتخلع

كَأن السحاب الجون أعرس بالثرى فَلَاح شوار الأرض فِى كُل موضـع

رِياضٌ يضَاحكن الغَزَالة بـــــعدما بَكَتْ فَوقها عين السماء بـــأربـع

فيحكى يوسف بن هارون عن الروضة التي قام فيها وسمع صوت الذباب وسط الرياض واستعان بالغزالة ليكمل صورة ما وصفه.

أما أبو مروان الجزيرى فيقول[1] :

حدق الحسان تقر لي وتـــــغار وتضل فى صفة النهى وتحار

طلعت على قضبى عيون كمائمى مثل العيون تحفها الأشـــفار

وأخص شئ بى إذا شـــــبهتنى درر تنطق سلكها ديـــــنار

أهدت له قضب الزمرد ســـــاقه وحباه أنفس عطره الـــعطار

أنا نرجس حقاً بهرت عـــقولهم ببديع تركيبى فقيل بـــــهار

إنى لمن زمن الربيع تـــــربنى قطع الرياض وتلقح الأمـــطار

فأكون عطراً للأنوف ومـــــنظراً بهجاً تهافت نحوه الأبـــصار

وتحية بين الندام تحث لـــــــي نخب الكؤوس وتنطق الأوتـــار

فتعج الأبيات بالألفاظ المختلفة للطبيعة الحية مثل الفتيات الحسناوات والنرجس والبهار .

(ب) الطبيعة الجامدة:

ويقصد بالطبيعة الجامدة الظواهر المختلفة للطبيعة من أرض وسماء وأنهار وبحار ورعد وبرق وصخور وجبال وظلام وضياء وغيرها.

1- الحميرى، البديع ، ص 103،

لقد وظف شعراء الزهريات والنوريات الطبيعة الجامدة في شعرهم خير توظيف مثل أبوبكر بن القوطية لألفاظ الطبيعة الجامدة قائلاً[1]:

أما ترى الروض جوهرياً ينظم دُرَّ السما مَـــلِياً
والنَور من فضّة وتـــبِر متى غذا النبتُ صيرفيّا
حتى كأن الربيع مَـــلك يُحيى له نَورَها البـــهَّيا
ترى نواويرَهُ كـــــــتِبر محضٍ وآذارُ قِســطريًّا
قد مدَّ نطعاً على رُبـــاها ينتقد المحضَ والـــرديّا
مثلَ انتقاد العُلا أبا عمـ ـرو نجلَ عبّاد الـسَريّا
الراجِحَ الواضحَ المـــحيّا والحُوَّلَ القُلَّبَ الكـــمِيّا
والمنجِبِ المعجِب افتناناً والمنبِه المدِرَه الذكـــيًّا

فالسماء والنور والفضة والربيع والربى كلها ألفاظ وظفها أبو بكر بن القوطية في قصيدته مستفيداً منها.

أما ابن هانئ الأندلسي قال[2] :

بنفسج جمعت أنواره فحكت كحلاً تشرب دمعاً يوم تـــشتيت
أو لازوردية أربت بزرقتـــها وسط الرياض على زرق اليواقيت
كأن قضبانه والريح تحملها أوائل النار في أطراف كبـــريت

فقد استفاد الشاعر من زهرة البنفسج ونورها حيث تحكى عن كثير من الأشياء التي وظف من خلالها الطبيعة الجامدة مثل اللازورد والياقوت والريح والنار والكبريت، فكل هذه صور مختلفة للطبيعة الجامدة وظفها ابن هانئ في مقطوعته .

1- الحميرى، مصدر نفسه ، ص 7.

2- ابن هانئ الأندلسي، الديوان، ص49.

أما أبو بكر بن القوطية فيمدح ابن عامر مستفيداً من ألفاظ الطبيعة الجامدة قائلاً [1]:

يَسْرى إذّا طَرق الظَلام نَـــــسيمه وَيَظَل يَكمن بِالنهار كذى دلـــس

مُتنكراً حَتى المَساء وَإِنَـــــــــما سُلطانُه بِالليل فَهو مِن الــحرس

جِنْس يُخَالِف كُل جنس فى التعــ ـــرى والتلبس والتوَحش والأُنس

فَتَراه طُول نَهارِه مُـــــــــتجرداً مِن عرفه ومع الدياجى ملتـــبس

فتراه طول نهاره مـــــــــتوحشاً فإذَا دَنَا وَقْت الظلام له أنـــــس

فاستخدم أوقات النهار المختلفة لبيان مناطق قوة ممدوحه فهو في الظلام نسيم وبالنهار دلس وفى المساء والليل حرس طيلة النهار هو التواضع والقوة والحكمة حتى إذا حل الليل له منه أنس .

أما ابن شهيد الأندلسي فقال[2]:

وأتاك بالنيروز شوق حـــــــافر وتطلع للزور غب تـــــطلع

وافاك في زمن عجيب مونـــــــق وأتاك في زهر كريم مـــــمتع

فانظر إلى حسن الربيع وقد جلت عن ثوب نور للربيع مـــــجزع

فكأن نرجسها وقد حشدت بـــــــه زهر النجوم تقاربت في مطلع

فالنيروز والزمان والنور والنجوم كلها صور من صور الطبيعة الجامدة وظفها الشاعر في قصيدته.

أما الوزير الكاتب أبو الإصبغ بن عبد العزيز فقال[3]:

1- الحميرى، البديع ، مصدر نفسه، ص 114

2- ابن شهيد الأندلسي، الديوان ورسائله، جمعه وحققه وشرحه محي الدين الديب، المكتبة العصرية، بيروت، 1997 ، ط1، ص 94.

3- الحميرى، البديع، ص 27.

فآثر الصحراء مستأنساً فـــي ليلة بالأنجم الزهر

فالصحراء والليلة والنجوم كلها ألفاظ من ألفاظ الطبيعة الجامدة.

أما الفقيه أبو الحسن بن على فقال[1] :

ألا سقنى روح النفوس وأنســـــها ولين بماء المزن فى المزج مسها

وشعشع لنا شمس الشمول ببدرها وأجر علينا بالمسرة كأســـــــــها

فأنت ترى أقمار نرجس روضـــــن خلاف السماويات جاوزن شمسها

محاسن لو وافت أخي العلا بــاقلا إذا بز سحبان البرايا وقســـــــها

فالماء والشمس والبدر والقمر والسماء كلها ألفاظ تعود إلى الطبيعة الجامدة.

وقال أبو بكر بن القوطية[2]:

زمرد أورقت أغصانـــــه دررا فراح كالراحة البيضاء منـــــفطرا

يقل ياقوتة صفراء فاقـــــعة كأنها التبر من فوق اللجين جرى

هو النهار ولكن رد نـــقطته مكيدة تحته النوار إذ وغـــــــرا

ثمت دعاه بهاراً كي يــهجنه وقد حوى قصبات السبق إذ بهـرا

كمقلة دب فى أجفانها وسن فدنقت غير أن لم يدر طعم الكرى

فالزمرد والياقوت واللجين أي الماء والنهار كلها ألفاظ تعود إلى الطبيعة الجامدة.

- العقيدة:

العقيدة هي حجر الأساس لدى كل شاعر أو إنسان لذلك هي دون أن يدرى الشاعر تمده منها فترى ذلك منعكساً على أدبيات الكتاب والشعراء حيث تعد

1- المصدر نفسه، ص 104.

2- الحميرى ، البديع ، ص 106

«مصدراً سخياً من مصادر الإلهام الشعري يستمد منها الشعراء نماذج وموضوعات وصور أدبية والأدب العالمي حافل بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي محورجها شخصية دينية أو موضوع ديني أو التي تأثرت بشكل أو بآخر بالتراث الديني»[1].

وبتتبع مصادر العقيدة عند شعراء الزهريات والنوريات تتضح فى محورين هما:

-القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو من أهم مصادر العقيدة التي يعتمد عليها الشعراء «لطالما كان القرآن أحد أهم وأكبر المصادر التي اعتمد عليها الشعراء في نقل صورهم منذ القدم فاقتبسوا من آياته واستوحوا من عباراته، لما فيه من الإبداع وحسن السياق وجزالة اللفظ والتشبيه وروعة البيان»[2]، فيقول أبو دراج القسطلى[3] :

شَكْلان مِن رَاح وَرَوْضَة نرجس يَتَنَازَعَان الشبه وسط المجلس

مُتباهيين تَلوناً بِتلون مُتباريين تنفساً بتنفس

فَكَأنها مِن حَد سيفِك تَلْتَظِى وَكَأَنَهُ مِنْ طِيب خلقك يكتسى

يَا مَن عَلا مِن رُتبة في رتبة حَتَى غَدا وَسط النجوم الخنس

فالقسطلى هنا يقتبس من القرآن الكريم من سورة التكوير «**فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس**» التكوير الأية 15

أما ابن هذيل فقال[4] :

كأنَّ حناياها جناحا مصفّقٍ إذا ألهبتْهُ الشَّمسُ أرخاهما نشْرا

1- على عشرى زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، 1997، ص 75

2- هدية الله مدحت، بيئة النصارى وأثرها في الأدب الأندلسي، ص 188.

3- الحميرى، البديع، ص 120. ابن دراج. الديوان.

4- يحي بن هذيل الأندلسي. شعره، ص84.

كأنَّ سوَاريها شكتْ فترةَ الضَّـنى فباتتْ هضيماتِ الحشا نُحَّلاً صُفرا

كأنَّ الَّذي زانَ البياض نــحورَها يُعذبِّها هجراً ويقطعها كـــــــبرا

كأنَّ النَّخيلَ الباسقاتِ إلى الـعلا عذارى حجال رجَّلتْ لمماً شُـــــقرا

فالشاعر ابن هذيل هنا يقول كأن النخيل الباسقات وهو هنا متأثر بالقرآن فى قوله تعالى «**والنخل باسقات لها طلع نضيد**» ق الأية 10

أما الوزير أبو عامر بن مسلمة فقال[1] :

يَا وَاحِد الأُدَبَاء غَير مـُدافع وَمَنْ اغْتدَى فِى الفَهْم نَاراً تَلْتظى

وَافَانِى الشِعْر البَديع نظامـه فَأَزَاح عَنْى كل أمْر مـــــــــحفظ

فقد تأثر الشاعر هنا بالقرآن الكريم حينما قال ناراً تلظى حيث تأثر بقوله تعالى في سورة الليل «فأنذرتكم نارا تلضّى» الأية 14.*

- الموروث الثقافي:

الموروث الثقافي أحد أهم العوامل حيث " يعتبر التراث من أهم المصادر التى اعتمد عليها الشاعر في تكوين صوره الشعرية وبطبيعة الحال فإن الشاعر مرتبط بتراثه ومشدود إليه، لأن هذا التراث يشكل وجدانه ويمثل جزءاً من ذكرياته "[2].

ونتتبع الموروث الثقافى عند شعراء الزهريات والنوريات من خلال الموروث الأدبي.

-الموروث الأدبي:

النص الأدبي ، فالنص الأدبي امتداد لتاريخ وثقافة كانت من قبله وإلا هو لم يكن وليد اللحظة «إن العودة إلى الموروث الأدبي ليست رجعة إلى الوراء، بقدر ما

1- الحميرى، البديع، ص 131.

* سورة الليل الآية 14.

2- حارث ياسين شكر، موضوعات الحياة اليومية عند شعراء المدرسة الواقعية، ص 276.

هي إحياء لكل ما أوثر عن الماضي الأدبي من معطيات فنية إيجابية، فهي تطوير لفن الشعر كما أنها إضاءة وتعميق لرؤية الشاعر وإحساسه بالاستمرار والتواصل الفني، بما يثرى عمله الجديد ويجعله صالحاً للتعبير عن قضاياه اليومية المعاصرة»[1]، أما من الصور التي وظف فيها شعراء الزهريات والنوريات الموروث الأدبي قول ابن زيدون في وصفه للخمر مستخدماً الورد حيث بدأ القصيدة قائلاً [2]:

أَدِرْهَا ! فَقَدْ حَسن المـجلس وَقَدْ آن أَنْ تُتْرَع الأكـــؤس

وَلَا بَأْس إِنْ كَان ولى الربيع إذا لم تجد فقده الأنـــفس

فَإِن خِلاَل أَبِى عَـــــــامر بِهَا يَحْضر الورد والنرجـس

فهذه الأبيات التي بدأها ابن زيدون بفعل الأمر أدرها تذكرنا بنفس أسلوب أبو نواس في حديثه عن الخمر واستدعائه لها حين يقول في أكثر من موضع

أَدِرهَا عَلينا قَبْل أنْ نَتَفَرقا وَهَات اسْقنى مِنها سلافاً مروقاً

وقوله أيضاً([3]):

أَدِرهَا علَى الندمان نوحية العهد وهات لعلى أن أيكن من وجدى

وقوله أيضاً ([4]):

أَدِرهَا علينا مزة بـــــابلية تخيرها الجانى على عهد قيصرا

أما أبو بكر بن القوطية فيقول[5] :

وَثَلَاثةٍ لَمَا اجْتَمَعْن بِـــــــمَجْلِسٍ نبهن مِنى هِمة لمْ تَنْـــعَس

وَدَعون حَى عَلى الصَبوح فَسقننى بِدُعَائِهن إِلى لِقَاء الأَكــؤس

1- مرجع سابق، ص 278

2- ابن زيدون، الديوان، ص 141.

3- أبو نواس الديوان، ص 87

4- المصدر نفسه ، ص 87

5- الحميرى، البديع في وصف الربيع ، ص 38

وَرْد كَمِثْل دَم الوَريد وَسَـــــوْسَن غض بسوسى الغلائل مكتس

أما الحاجب أبى الحسن بن جعفر بن عثمان المصحفي فيقول على طريقة الشعراء القدماء وعلى طريقة شعراء العصر الجاهلي في بداية قصيدته لعمرك، حيث بدأ القصيدة بالقسم مثلما عرف عن شعراء العصر الجاهلي فيقول[1] :

لَعمركَ مَا في فِطرة الَروضِ قُدرة تُحُيل بِهَا مَجْرى الزمان عَن الحَد

ولكِنَما أَخْلاقك الغر نـــــــبهت بِربعك فِى كَانون نَائمة الـــــورد

كَأنك قَد أَمْطرتها دِيمة المـــــجد وَأَجْريت فِى أَغْصانها كرم العهـد

تأثراً بالشنفرى فى قصيدته حين يقول[2]:

لعمرك ما بالأرض ضيق على امرئ سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل

- أنماط الصورة:

تساعد الصورة على توضيح المعنى وإيصاله للمتلقي والصورة قد تكون «بيانية تقوم على التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية، وقد فطن إليها الشعراء من قديم، فاصطنعوها في شعرهم، فأبرزوا العلاقة بين الشيء وشبيهه باستخدام التشبيه، وأبرزوا صفة ما حين استعاروا صفة من الشبيه على سبيل الاستعارة، وأخفوا المباشر، وعبروا عنه بما يفيد معناه باستخدام الكناية»[3]، فأنماط الصورة ليست واحدة ومختلفة بالنظر إلى علم البيان أو بالنظر إلى الحس والعقل وسوف تقوم دراسة أنماط الصورة على:

1- الحاجب المصحفي الأندلسي. ما تبقى من شعره. ص 40.

2- شرح لامية العرب للشنفرى السيد إبراهيم الرضوي تح: أسماء محمد حسن هيتو، طبع دار الفارابي بدمشق، سوريا، ط1، 2009، ص 9.

3- محمد عبد المنعم محمد قباجه، الغربة والحنين إلى الديار في شعر العصر العباسي الثاني، رسالة ماجستير، إشراف عبد المنعم حافظ. جامعة الخليل، فلسطين، 2008، ص209

* أنماط الصورة بالنظر إلى علم البيان ونعنى بها الصورة البلاغية:

الصورة التشبيهية والاستعارية والكنائية مهد لذلك

* أنماط الصورة بالنظر إلى الحس والعقل ونعنى بها الصورة الحسية :

الصور البصرية والشمية والسمعية والذوقية واللمسية

-الصورة البلاغية:

الصور البلاغية هي ما يجمع التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز فهي تعبير عن كل هذه الصور حيث هي «اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقة، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس فبأي شيء بلغت الإفهام فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[1].

- الصور التشبيهية :

التشبيه هو «فن من الفنون البلاغية، يدل على سعة الخيال، وجمال التصوير، ويُعدُّ من أبرز أنماط الصور الفنية، وأكثر الفنون البلاغية دوراناً على ألسنة الناس، فكثير من كلامهم معقود على المماثلة، ويُعدُّ التشبيه من أقدم صور البيان ووسائل الخيال وأقربها إلى الفهم والأذهان، كما أنه من أكثر الفنون دوراناً في الشعر العربي القديم، ولذلك اهتم النقاد به، فوضعوا الكتب والدراسات لبيان أنواعه وتوضيح مقاصده»[2].

1- بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، دار المنارة للنشر، جدة، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، 1997م، ص101

2- حارث ياسين شكر ، قصيدة الحياة اليومية، ص 305

ولقد اختلف العلماء في تعريف التشبيه فقد عرفه المبرد في الكامل «والتشبيه جارٍ كثير في الكلام، أعني كلام العرب حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد»[1]، وعرفه القزوينى قائلاً: «وإذا قد عرفت معنى التشبيه في الاصطلاح فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره في فن البلاغة وأنَّ تعقيب المعاني به يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحاً كانت أو ذماً أو افتخاراً أو غير ذلك»[2].

ومن صور التشبيه قول الوزير أبو عامربن مسلمة[3]:

إِنِى بَعَثْت مطيباً نـــــــمقته من روض دارى دارك الغناء

هَوَ كالسَّماءِ إِذَا بَدَتْ مُخضرة لَاحَـــتْ عَليهَا أَنْجُم الجَوزاء

فهنا يشبه أبو عامر المطيب الذي أرسله بالسماء حيث جاء التشبيه هنا مفصلاً حيث اكتملت فيه الأربعة أركان فالمشبه هنا هو المطيب يقصد بهو المطيب وشبه المطيب بالسماء وجاءت أداة الشبه حرف الكاف وجاء وجه الشبه الاخضرار وأن تكتسى السماء باللون الأخضر فهو يشبه هديته بالسماء حين تخضر ويلوح بها النجوم.

أما أبو جعفر ابن الآبار فقال[4] :

وآسٍ كَاسْمهِ للـــــهم آس تَتِيهُ بِهِ حلى الزمن القشيب

وَأَرسل كَالغَدائر مرســـلات بِهَا قطط ونم بكل طـــــيب

1- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1993م، الجزء الثاني، ص996.

2- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2003، ص164.

3- الحميرى، مصدر نفسه، ص25، فوزي سعد عيسى. شعراء أندلسيون منسيون. 199.

4- أبو جعفر بن الابار، الديوان، ص 63.

وَكَتم نوره فـــــــبدت لآل مدحرجة لَهَا عُرف الـحبيب

كَأَنَّ الصبح شق بِهِ جيوباً فَغَادر فِيه أَزْرَار الـــــجيوب

ونَافَسَهُ الوَرَى شَغفاً وحـبا فعود سود حبات القـــلوب

فهنا التشبيه ممتد على طول الأبيات حيث شبه الآس بأنه مواساة لكل مهموم ثم شبه في البيت الثاني بالغدائر ثم انتقل إلى التشبيه في البيت الثالث حيث شبهه بأنه مثل الآل أى النجوم ثم شبه خلقته الطيبة كأن الصباح شق فيه الجيوب فامتد التشبيه على طول الأبيات .

أما القاضي ذي الوزارتين فقال[1]:

كأن لون الظيان حين بدا نواره أصفراً على ورقـــــــه

لون محب جفاه ذو مـــلل فاصفر من سقمه ومن أرقه

فشبه هنا الظيان أى الياسمين البرى بأنه حين يتفتح ويشع نوره الأصفر بأنه مثل جفن المحب الذي يسهر الليالي حزناً على فراق حبيبه فيصفر لونه من قلة النوم والأرق والسهاد .

أما الوزير أبو عامر بن مسلمة فقال[2]{البحر البسيط}:

قد جاءنا رائد الـــــربيع بمنظر رائق بديـــــع

هو البهار الذي تـــعلى وجل في حسنه الرفيع

كأنه مقلة تـــــــــشكى إلى الحيا قلة الهـجوع

أكف كافورة قد أومـــــت بكأس تبر إلى الربـيع

أو شعلة النار وسط ماء جسد من ثوبه النصوع

1- الحميرى، البديع ، ص27.

2- فوزي سعد عيسى. شعراء اندلسيون منسيون. 219.

فقد شبه هنا البهار بأنه جفن يشكو من قلة النوم وتمتد الصورة التشبيهية في البيت الذي يليه حيث قال أو كأنه أكف كافورة وأنهى الصورة التشبيهية مشبهاً إياه بأنه مثل شعلة النار التي تتوسط المياه والتشبيه هنا تشبيه وافى الأركان.

أما أبو بكر بن القوطية فقال[1]:

زمرد أورقت أغـــصانه دررا فراح كالراحة البيضاء مـــــــنفطرا

يقل ياقوتة صفراء فـــــاقعة كأنها التبر من فوق اللجين جــرى

هو النهار ولكن رد نـــقطته مكيدة تحته النوار إذ وغـــــــــرا

ثمت دعاه بهاراً كى يـــهجنه وقد حوى قصبات السبق إذ بـــــهرا

كمقلة دب في أجفانها وسن فدنقت غير أن لم يدر طعم الكـــرى

فهنا التشبيه وقع في البيت الأخير حيث وقع التشبيه هنا تشبيهاً تمثيلياً حيث شبه حالة بحالة أخرى فوقع التشبيه بين الشطر الأول مثل عين دب خالطها النعاس مع الشطر الثاني بحالة الاستعداد للدخول في النوم ولكن لا قدرة على الانغماس فيه، والتشبيه التمثيلى ليس دارجاً مثل أنواع التشبيهات الأخرى أي أن أمثلته في اللغة العربية ليست كثيرة مثل أنواع التشبيهات الأخرى .

أما الوزير أبو عامر بن مسلمة فقال[2] :

أَرَى في البَهَار النرجسى تـــــلألؤا عيون الوَرَى مَشْغوفة بالتماحه

كَأَنَّ الرِياض الخُضر صِغْن لباسه بِشَـكْلين مِنْ مَاء الغمام وراحة

فيشبه هنا الوزير النرجس بأنه مثل الرياض في اخضرارها وجمالها ووقع التشبيه في البيتين الأولين حيث ذكر المشبه وهو النرجس فى البيت الأول والمشبه به وهو الرياض الخضر في البيت الثاني .

1- المصدر نفسه، ص 106.

2- فوزي سعد عيسى .شعراء أندلسيون منسيون. 209.

أما الفقيه أبو الحسن فقال[1]:

أَلَا حَبْذا المَحبوب نُور البنفسج وَأَحْبِب بمرآه البديع وأبهـــج

حياة وَرُوح للعليل نـــــسيمه ومنظره أنس المتيم والشـــج

ونَوَاره كَالغُصن فِى صَدر أغيد لِمُخْتلس سِهو الرقيب ومدمج

فالشاعر هنا يشبه البنفسج مثل الغصن المنير الذي تحب أن تختلس النظر إليه كما يُختلس النظر إلى صدر الفتاة سهواً وطبعاً التشبيه مبالغة من الشاعر فى وصف كمال نور البنفسج وذكر الشاعر هنا التشبيه مجمل الأركان حيث اشتمل التشبيه على ثلاثة عناصر وهم المشبه نوارة البنفسج والمشبه به الغصن في الصدر وأداة التشبيه هي حرف الكاف.

أما يوسف بن هارون الرمادى فقال[2] :

انظر غرائب للخيرى ظـــــاهرة عند الظلام وعند الصبح تستتر

كأنه سارق طيباً تفرق في الـ ـظلماء فهـو بنم الريح مشتهر

فالشاعر هنا يشبه نبات الخيرى الذي تفوح رائحته ليلاً بأنه مثل السارق وطبعاً السارق لا يسرق إلا ليلاً والسارق تفوح رائحة عمله كما يفوح رائحة نبات الخيرى الجميل ليلاً .

أما أبى مروان المرادى فقال[3] :

يَنَمْ معَ الإظْلام طيب نسيمه ويخفى لدى الإصباح كالمتستر

كَعَاطرة ليلاً لوعد مـــــحبها وَكـــــاتمة صبحاً نَسيم التعطر

1- الحميري. المصدر السابق، ص30.

2- يوسف بن هارون الرمادى، شعره، ص 69 - 70.

3- الحميرى، البديع ، ص30.

وهنا يشبه أبو مروان نبات الخيرى في صفة رائحته بالتي تتعطر لحبيبها ليلاً ثم حين يصبح الصباح لا تظهر رائحتها لأنها تخفيها فكذلك هو نبات الخيرى.

أما الفقيه أبو الحسن بن على فقال[1]:

في النَرجس القُدسى النور والقَصَب حُسن يَفُوقُ بِه تَربيه فى النسب

لهُ مِن التُبر كَأْس قَاعه لُجج موسع العلو قَدْ أَبْدَاه للعجب

مُشم طِيب إذا استنشيت زهرته وَظرف أُنس إذا ماشيت للنخب

وَمَائل الجيد من سكر النعيم به حَكَى ثنى الثمل المشغوف باللعب

كغَادةِ ثَوبها منْ سُندس طلعت للشُرب في كفها كأس من الذهب

فوقع التشبيه هنا في البيت الأول والخاس حيث شبه أبو الحسن النرجس بأنه مثل الوردة التي لباسها من السندس أورقت وخرجت لتشرب وهى في يدها كأس من الذهب وهنا التشبيه تشبيه مفصل حيث احتوى ع الأربع أركان فجاء المشبه وهو النرجس والمشبه به غادة وأداة الشبه هي حرف الكاف ووجه الشبه هو في جمال الثوب.

أما الوزير أبو عامر بن مسلمة فقال[2]:

أما ترى الورد وقد رنا بطرف ولمح

كأنه دم جرى على طلى بيض وضح

أو خد غض عضه لحظ محب فانجرح

فشبه هنا الورد بأنه مثل الدم الذي يجرى على الأرض دلالة على شدة احمرار لونه وشبهه أيضاً بأنه مثل خد المحب الذي إذا عضضته أصبح محمراً وقد التشبيه هنا في ثلاثة أبيات.

1- المصدر نفسه، ص 121-122.

2- الحميرى، مصدر سابق، ص 128، فوزي سعد عيسى . شعراء اندلسيون منشسيون. ص 205.

وهكذا تتضح الصورة التشبيهية عند شعراء الزهريات والنوريات حيث لعب التشبيه دوراً مهماً في صورهم لأن فن الوصف يعتمد بشكل كبير على التشبيه فانطلقوا في كل ما رأوه أمامهم من مناظر طبيعية وأبدعوا في الوصف.

-الصور الاستعارية:

تؤدي الاستعارة دوراً رئيسياً في أنماط الصورة الشعرية، حيث تعد الاستعارة من أهم مقومات الصورة الفنية وإحدى أعمدة البناء الشعري، وسمة أساسية من سمات العبقرية الإنسانية، فهي أعمق أثراً وأكثر قدرةً على إثارة الخيال وإجبار المتلقي على التأمل والتفكير لتصوير المعاني الجديدة، مما يجعلها إضافة وابتكار للعمل الأدبي، كما أنَّ للاستعارة علاقة وطيدة بمفهوم الصورة الشعرية، ذلك أنَّ الشاعر سبَّاق إلى التعبير عن الشعورية المجردة فيقوم بإعادة تشكيل مدركات العالم الخارجي وأشيائه الحسية وفق تصوره، وبالتالي يحوِّل المدركات المجردة إلى مدركات حسية عن طريق الاستعارة[1].

وقد عرف الجرجاني الاستعارة قائلاً «وإنما الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها تقريب الشبه، ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى، حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر»[2].

والاستعارة نوعان مكنية وتصريحية، والاستعارة المكنية يذكر المشبه ويحذف المشبه به ويذكر شيئاً من لوازمه أما الاستعارة التصريحية يحذف المشبه ويذكر المشبه به.

1- ينظر: حارث ياسين شكر ، قصيدة الحياة اليومية، ص 311

2- القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1966م، ص41.

من الصور الاستعارية قول ابن عبد ربه[1] :

وروضة عقدت أيدى الربيع بها نوراً بنور وتزويجاً بتزويج

فوقعت الاستعارة هنا حين قال عقدت أيدى الربيع فشبه الربيع وكأن له يد عقدتها الروضة الخلابة وقد جاءت الاستعارة هنا مكنية حيث صرح بالمشبه وحذف المشبه به وسر جمالها التشخيص.

ومن الاستعارة قول ابن زيدون:[2]

ربيب ملك كأن الله أنـــــشأه مسكاً وقدر إنشاء الورى طينـــا

أو صاغة ورقاً محضاً وتوجـه من ناصع التبر إبداعاً وتحسيناً

فوقعت الاستعارة هنا فى قوله أنشأه مسكاً حيث شبه ولادة بأنها ليست مثل البشر بل هي مسك لشدة جمال رائحتها والاستعارة هنا تصريحية لأنها وقعت فى كلمة واحدة وهى المسك حذف المشبه وهى ولادة وصرح بالمشبه به وهو المسك وسر جمال الاستعارة التجسيم والتجسيد وإبراز المعنوي في صورة حية.

أما أبو بكر عبادة بن ماء السماء فيقول ([3]):

تلحظ النور بـلحظ فـــاتر مثل جفن حائر فيه رمـــــد

وجفون النور تهمى بالبكا كجفون الصب من فقد الجلد

فهما في حيرة عند النــوى كمحبين أحسا بالـــــــبعد

فوقعت الاستعارة في البيت الثاني حين قال جفون النور حيث شبه النور وكأنه إنسان له جفون تفيض دمعاً وقد جاءت الاستعارة مكنية حيث حذف المشبه به وصرح بالمشبه.

1- ابن عبد ربه، الديوان، المرجع السابق، ص 37.

2- ابن زيدون، الديوان، ، ص 96.

3 – المقري التلمساني، نفح الطيب، ج 1. ص 69، فوزي سعد عيسى. شعراء أندلسيون منسيون. 106.

ومن الاستعارة أيضاً قول أبو مروان الجزيرى[1]:

أنا نرجس حقاً بهرت عقولهم ببديع تركيبى فقيل بـــــهار

إني لمن زمن الربيع تربـــنى قطع الرياض وتلقح الأمطار

فوقع قول الشاعر أنا نرجس استعارة مكنية حيث شبه الشاعر النرجس وكأنه إنسان يتكلم ويتحدث وجاءت الاستعارة مكنية حيث حذف المشبه وصرح بالمشبه به وسر جمال الاستعارة التشخيص.

من الاستعارة أيضاً قول الوزير أبو عامر بن مسلمة [2]:

هو البهار الذي تعلى وجل في حسنه الرفيع

كأنه مقلة تـــشكى إلى الحيا قلة الهجوع

فقد شبه الشاعر البهار وكأنه مقلة أى عين تبكى وطبعاً البهار لا يبكى فقد وقعت الاستعارة مكنية وسر جمالها التشخيص حيث حذف المشبه به وصرح بالمشبه.

من الاستعارة أيضاً قول زياد بن أفلح[3] :

فاجأنى كانون بالـــــورد فزادنى وجداً إلى الوجـد

ورد العلى أهدى لنا وردة يا حبذا الـورد من الورد

فجملة فاجأني كانون استعارة مكنية حيث شبه كانون وكأنه إنسان أو شخص أراد أن يفاجأه فأهداه ورداً وقد وقعت الاستعارة مكنية وسر جمالها التشخيص.

أما ابن دراج فقال[4]{البحر الكامل}:

1- الحميرى ، البديع، ص29. أبو مروان الجزيري الأندلسي. شعره. 99.

2- المصدر نفسه، ص29.

3- الحميرى، مصدر نفسه ، ص34. فوزي سعد عيسى. شعراء أندلسيون منسيون. 219.

4- ابن دراج القسطلي. الديوان. ص 35.

ضحك الزمان لنا فهاك وهاته أو ما رأيت الورد في شجراته

قد جاء بالتاريخ من أغصانه وبخجله المعشوق من وجناته

فقد وقعت الاستعارة هنا فى قوله ضحك الزمان فالزمان لا يستطيع أن يضحك فشبه الزمان وكأنه إنسان يضحك وقد جاءت الاستعارة مكنية وسر جمالها التشخيص.

- الصور الكنائية:

الكناية هي «مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته»[1]، وقد عرفها محمد بن على الجرجاني «لفظ أريد به ملزوم معناه الوضعي من حيث هو كذلك، فإن لم يكن اللازم ملزوماً، احتاج العقل فيها إلى تصرف، بذلك التصرف يكون اللازم ملزوماً»[2].

أما أبى الإصبع المصري قال عنها «عبارة عن تعبير المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن، وعن الفاحش بالعفيف هذا إذا قصد المتكلم نزاهة كلامه عن الغيب، وقد يقصد بالكناية عن ذلك، وهو أن يعبر عن الصعب بالسهل، وعن البسيط بالإيجاز، أو يأتي للتعمية والألغاز، أو للستر والصيانة»[3].

ومن الصور الكنائية قول الوزير أبو عامر بن مسلمة في مدح أبو جعفر بن الآبار[4]:

يا واحد الأدباء غير مـــــدافـع ومن اغتدى فى الفهم ناراً تلتظى

1- خالد محمد الزواوي، الصورة الفنية عند النابغة الذبياني، الشركة المصرية العالمية، الطبعة الأولى، 1992، ص6.

2- محمد بن علي الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة، 1997م، ص 216.

3- ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، دار نهضة مصر، القاهرة، ص53.

4- الحميرى، البديع، ص 91.

وافانى الشعر البديع نـــــظامه فأزاح عنى كل أمر مـــــــحفظ

فخراً لورد الروض إذحار المــدى ببدائع من ذهنك المـــــــتيقظ

فالأبيات كناية عن شدة علمه وأدبه وخلقه وكناية عن براعته الأدبية وعن مدى براعته في نظم الشعر وكناية عن ذوقه الرفيع في الهدية إلى صديقه .

أما الفقيه أبو الحسن بن على فيقول في قوم ذهبوا للشرب أول الليل[1] :

فإن أوحشت من شمس تبدت عليك بشمس كبرها العقار

وما شهد الكرام وغى كـــحرب جراح المقصدين بها جبار

فالبيت الأول كناية عن شمس الليل وهى الخمر إذا أوحشت من اختفاء شمس النهار فالأبيات كناية عن الشرب في حضرة الخمر التي هي مثل الشمس المشرقة .

أما الوزير الكاتب أبى حفص بن برد، يقول في جمال الربيع[2]{البحر الكامل}:

هذا الربيع وكنت تـــــــــرقبه فانظر بعيشك كيف تصحبهُ

قد نشرت حلل النبات بـــــــه فبدا مفضضه ومـــــــذهبه

والورد قد سمت الغصون بـــــه تجلوه والأبصار تـــــخطبه

والشمس قد ضرب الضحاء بها فى صبغه فذكا تَـــــلهَّبه

فكأن من يهواه يـــــــــخجله وكأن رياه تـــــــــطيبه

فالأبيات كناية عن جمال الربيع وعن جمال الأرض في حضرته حيث تزهر النباتات والورود بأنواعها المختلفة والشمس تصبح أكثر جمالاً فالربيع هو فصل الجمال وفصل الألوان الزاهية البديعة.

1-الحميري. المصدر نفسه، ص 96

2- الحميرى، المصدر نفسه ، ص36.

أما الفقيه أبو الحسن فيقول في الورد[1]:

للورد فضل السبق عند المفخر بالمنظر السامى وطيب المـبخر

ورق من الياقوت نظم فوقـــه شذر من الذهب السبيك الأصفر

ونسيم فوح ليس يبلغ طـــيبه عبق العبير ولا دخان الـــــعنبر

وهذه الأبيات كناية عن الورد وجماله حيث هو الأسبق عند الفخر برائحته الجميلة وورقه الرائع ورائحته الطيبة الجميلة فتوضح لنا الأبيات ماهية جمال الورد حيث عده الشاعر من أجمل ما قد يكون.

أما ابن زيدون فيقول في ولادة [2]:

ربيب ملك كأن الله أنـــــشأه مسكاً وقدر إنشاء الورى طـــينا

أو صاغة ورقاً محضاً وتوجـــه من ناصع التبر إبداعاً وتحسينـاً

ليسق عهدكم عهد السرور فمـا كنتم لأرواحنا إلا ريـــــــاحينا

كأنما أثبتت فى صحن وجـــنتـه زهر الكواكب تعويذاً وتـــــزيينا

ما ضر أن لم نكن أكفاءه شرفـاً وفى المودة كاف من تـــــكافينا

ياروضة طالما أجنت لواحـظنـا ورداً جلاه الصبا غضاً ونـــسرينا

ويا حياة تملينا بزهرتـــــــها منى ضروباً ولذات أفانينـــــــا

وهذه الأبيات ترسم صورة كنائية فى غاية الجمال والروعة حيث توضح لنا الأبيات مدى جمال ولادة ومدى جمال رائحتها ومنظرها ووجنتاها وعلو منزلتها وجمال صفاتها وتهافت العشاق والمحبين إليها كما أن الأبيات كناية عن مدى شوق ابن زيدون وولعه بولادة .

1- المصدر السابق، ص 129.

2- ابن زيدون، الديوان، ص 299.

وأما ابن هذيل فيقول فى وصف روضة [1]:

بمَحَلَّةٍ خضراءَ أَفْرَغَ حُلْيهَا الـذ هبى صاغة قطرها المَـــسكوب

بَسقت عَلَى شرف البلادِ كَأنـما قَامت إلِى ما تحتها بخـــطيب

والروضُ قَد أَلِف النَدى فكأنـــه عين توقف دمْعها لِـــــرَقيب

مُتخالف الأَلْوَان يجمع شَـــمله رِيحَــان، رِيح صبا ورِيح جنــوب

فَكَأنما الصفراء إذ تومى إلى الـ بيْضَاء صب جَانـــح لِـــحبيب

فالأبيات كناية عن جمال هذه الروضة البديعة الرائعة الجمال والرائعة الحسن من لونها الأخضر الجميل والندى الجميل الذي يخالط الروض فكأنه عيون ممتلئة بالدموع وليدل على مدى جمالها يقول أنها مليئة بالألوان وهذا كناية عن تعدد الألوان والزهرات بها فحين تراها ترى كل الجمال الذي قد يوجد.

أما أبى بكر بن القوطية فيقول في نبات الياسمين[2]:

وأبْيَض نَاصع صَافِى الأَديـم تطلع فوْقَ مُخْضر بهـــيمِ

نَزِيه النَفْس هِمته المـــعَالى ذَكى العُرف مُسكى الأديـــمِ

فلَسْت تَراه إلا عِند مَـــــلك وإلا عِنْد خَاصى كَـــــريم

شَأى النَوار فَارْتَفَع اعْـتِراشاً عَليهِ كَهَيئة المَلِك الـــعَظِيم

كَأَنَ ثِمَاره المجنيى منـــها سَمَاء قَدْ تَحَلت بالنـــجوم

فالأبيات كلها كناية عن جمال نبات الياسمين ومدى حلاوته وروعته من لونه الأبيض وعرفه ذو الرائحة الجميلة فهو نبات عريق سليل الملوك والكرماء.

ومن الكنايات الرائعة تلك المقطوعة الشعرية لأبي على إدريس اليماني في زهر الياسمين[1]:

1- يحيى بن هذيل الأندلسي، ص 74.

2- الحميرى، البديع، ص96.

أمير النور يأمرني بـــــشرب ولست أطيق عصيان الأمـــيرِ

فخذ كأس السرور فســـقنيها على ود الأمير على الســـريرِ

نجوم من لجين تـــــــجتليها سماء زبرجد خضل نضـــــيرِ

تزيد على الأقاحى فى ابتـسام كما زاد الكبير على الصـــــغيرِ

وينخفض الشذا المسكى عنها كما انخفض الصغير على الكبيرِ

فالأبيات كلها كناية عن جمال الياسمين وعن جمال الشرب في أحضانه والأبيات كناية عن موصوف وهو زهر الياسمين الرائع والتغزل بجمال منزره وروعته.

- **الصورة اللمسية الحسية:**

وهي تلك التي تستمد صورتها من حواس الإنسان وهذه الحواس هم الصورة البصرية والصورة السمعية والصورة الشمية والصورة الذوقية والصورة اللمسية. وقد استعان الشعراء بحاسة اللمس في تشكيل صورهم الشعرية فهي تعتمد على الأفعال الدالة أو مثيرات حسية تدرك بحاسة اللمس وتظهر هذه الصور في أساليب ولغة الشاعر الأندلسي.

ونجد المعتمد بن عباد يقول في وصف روضة أنها مُفصلة كما اللؤلؤ أو كما حديقة أزكى رائحتها الريحان[2]:

درا بعثت مفصلاً بجمان أو روضة مسكية الريحان

قال أبو الوليد الحميري في وصف نور الكتان([3]):

كأنّ نَورَ الكتّانِ حين بـــدا وقـد جلا حُسنُهُ صدا الأَنــفُس

اكفٌّ فـيـروزَجٍ مـعـاصـمُـهـا قد سترتُهنَّ خُضرةُ المـــلبـَس

1- الحميرى، المصدر السابق، ص 97.

2- المعتمد بن عباد، الديوان، ص 62.

3- الحميري، البديع في وصف الربيع، ص 157.

أولا فزرقُ الياقوتِ قد وضعت على بساطٍ تروقُ من سُندس

وتعتمد الصورة اللمسية على حاسة اللمس وتبدو في النص «من خلال اشتقاقات الأفعال الدالة على فعل يتم بواسطة اليد التي تمثل حاسة اللمس مثل: مسكت، لامست، أخذت، أعطيت، دفنت، كسرت...، أو ذكر مثيرات تدرك بحاسة اللمس مثل: البرودة، الحرارة، الخشونة، النعومة، الرطوبة....»[1].

ومن أمثلة الصور اللمسية قول ابن زيدون[2]:

وَشَادنٍ أسألُهُ قُـــــــهوةً فَجَادَ بِالقَهوَةِ وَالـــوَردِ

فَبِتُ أَسقى الراحَ مِن رِيقِهِ وَأَجتَنى الوَردَ مِنَ الخَـد

فابن زيدون هنا يطلب الساقي أن يحضر له الشراب فجاءه به وبات يشرب من خفته وجمال منظره وخدوده التي مثل الورد، وبالطبع فإن الساقي أحضر له الشراب بيده فأخذه منه وهنا تتضح لنا معالم الصورة اللمسية.

-الصورة البصرية:

العين هي أسبق الحواس في الإدراك وهى ما تجلوه الأبصار من نظرها إلى واقع ما، أو ما تراه العين مرتبطًا بصورة ذهنية ما، ومن هذه الصور، الحديث عن الأثافي وكأنها حمائم، ولا أدرى إن كانت هذه الصورة قد جاءت من اللون الأغبر لهذه الأثافي، من كثرة إيقاد الحطب بينها، أم من شكل تقاربها مواجهة لبعضها، كما رسم أحد الشعراء، فمن هذه الصور[3] قول البحتري:

عَفَا غيْر نؤى دَارس بِفنائه ثَلاث أثاف كالحمائم جنح.[4]

1- شيماء عثمان محمد. الصورة الحسية في شعر فهد العسكر. ص79.

2- ابن زيدون. الديوان. ص 68.

3- محمد عبد المنعم محمد قباجة، المرجع السابق، ص 211-212.

4- البحتري، الديوان، ص 93.

ومن الصور البصرية قول القاضي ذي الوزارتين في الياسمين البرى[1]:

كأَنَّ لَون الظِيان حِين بَدَا نواره أَصْفراً عَلى ورقـــــه

لون مُحِب جَفَاه ذُو مـلل فَاصْفَرَ من سقمه ومن أرقه

فالشاعر هنا وهو يسعى لتشكيل صورته فيصور لنا لون الياسمين حين ظهر وبان بأنه لونه أصفر في الأوراق مثل لون المحب الذي يصفر من كثرة الأرق ولعبت الصورة البصرية دوراً واضحاً في بيان أثر اللون على النبات وعلى المحب.

من الصور البصرية أيضاً قول أبو بكر بن القوطية[2]:

أما ترى الرَيحانَ أوراقُـــهُ تلتفُّ تجعيداً ولا تَـــــنبسِط

دقيقَةُ اللّماتِ في رُؤسها كأَنَّهم أسودُ جعدٌ قـــــطط

وقد غدا تنويرُهُ جَـــوهَراً ففي الموامي والرُبى يُـــلتقَط

حتّى إذا ما مَلّ مِن مكثِهِ في عُوده المُشرق فيه سَقط

مكتشِفاً عن ثَمرٍ أسودٍ كأنّه من نفض حِبرٍ نُـــقِط

وهنا يبدأ الشاعر أبياته قائلاً أما ترى حيث الرؤية هي من العين ثم يكمل لنا بوصف يوضح معالم الصورة البصرية قائلاً ألا ترى الريحان كيف أن أوراقه تلتف بطريقة مجعدة جميلة ثم يصف بدقة تكشف لنا عن مدى تخيل القارئ لهذا الوصف من خلال الدقة في وصف نبات الريحان بكل تفصيلة فيه.

من الصور البصرية أيضاً قول الوزير أبو عامر بن مسلمة[3]:

أرى في البهار النرجسي تـــلألؤا عيون الورى مشغوفة بالتماحِه

كأن الرياض الخضر صغن لباسه بشكلين من ماء الغمام وراحِة

1- الحميرى، البديع، ص 27.

2- الحميرى، المصدر نفسه، ص 26.

3- المصدر نفسه، ص 107، فوزي سعد عيسى. شعراء أندلسيون منسيون. ص 206.

أو الدهر راده سروراً بشـــــخصه ردداءين من إسفاره وصباحِـــــه

فحلته في لونـــــــــها ذهـــبية وفضية أثناء عقد وشـــــاحِه

فقد بدأ الشاعر الأبيات بفعل أرى وهذا دليل على حضور الصورة البصرية في الأبيات حيث تتضح بارزة المعالم من خلال وصف الشاعر الذي يطغى عليه الصورة البصرية التي نستطيع أن نستشفها من خلال القراءة والتخيل بجمال هذا المنظر.

- الصورة الشمية:

تعتمد الصورة الشمية على حاسة الشم ومصدرها الأنف «من خلال ذكر الأفعال الدالة على تفعيل حاسة الشم (شممت، استنشقت ...) أو ألفاظ المسميات التي من شأنها إثارة حاسة الشم، كذكر الروائح والعطور»[1].

ومن الصور الشمية قول أحمد بن هشام بن عبد العزيز عن نبات النرجس الطيب[2]:

يا مليكاً من الملوك مصفى والذي جل أن يحدد وصـــفا

عبدك الشاكر المؤمل أهدى نرجساً كالعبير نشراً وعـــرفا

كلما فاح نشره قلت إلـــف فى دجى الليل عاطر زار إلفا

فالشاعر هنا يرسم زهر النرجس في مدحه حيث اعتمد على الصورة الشمية في جمال رائحة هذا النرجس فحين يقول نرجساً كالعبير نشراً وعرفاً أي نرجس رائحته عبير ثم يكمل إذا فاحت رائحته وظهرت تذكرني بالخير وتظهر الصورة الشمية

1- شيماء عثمان محمد، الصورة الحسية فى شعر فهد العسكر، مجلة أبحاث البصرة، المجلد السادس والثلاثين، العدد الأول، 2011، ص 70.

2- الحميرى، البديع، ص100.

واضحة المعالم في قوله كلما فاح نشره أي كلما ظهرت وبانت رائحته، وقد لعبت الصورة الشمية دوراً بارزاً في إبراز جمال وهيئة الصورة.

من الصور الشمية أيضاً قول أبو عبد الله بن مسعود[1]:

الآس آسٍ لِأَســـى كُل فُؤَاد مـــــكتئب

في كُل فصل زاهــر وَمَا سِواه مـــــنقلب

إِذَا سَرَى مِنه الشَذَا فِى آخر الليل وهـب

فهنا يحدثنا الشاعر عن جمال نبات الآس وكيف أنه رائع المنظر في كل فصل حتى إذا سرى من العبير والرائحة الجميلة تشمها فى الليل وخصوصاً في آخره فرائحة الآس فضحت جماله وهنا تتضح لنا معالم الصورة الشمية.

ومن الصور الشمية أيضاً قول أبو مروان الجزيرى [2]:

أَنَا نَرْجس حَقاً بهرت عقولهم بِبَدِيعِ تَرْكِيبى فقيل بَـــــــهار

إِنى لمن زَمَن الرَبِيـــع تربنى قطع الرِيَاضِ وَتلقح الأَمْطَــار

فَأَكون عِطْراً لِلأُنُوفِ وَمَنْظــراً بَهِجاً تهافت نَحْوه الأَبْصـــــار

فهنا يحكى عن النرجس الجميل الذي يبهر كل من يراه بجمال وروعة منظره حين يأتي فصل الربيع ويزهر ثم يكمل فأكون عطرا للأنوف تشم رائحتي الجميلة وهنا تخبرنا الصورة السمعية عن نفسها حيث أسهمت في مدى روعة وبيان الصورة.

يقول **ابن زيدون**[3] في مدح أبي الحزم بن جهور مستخدماً الزهور في وصف محاسن صديقه فمحاسن صديقة تفوق الآس في خضرته، حمراء اللون كالورد مبهجة ولها رائحة أجمل من رائحة المسك، قال[1]:

1- الحميرى، مصدر سابق، ص 90.

2- الحميرى، مصدر نفسه، ص 103، أبو مروان الجزيري الأندلسي. شعره. ص99 – 100.

3- ابن زيدون، الديوان، 14- 17.

كَالآس أخضَر نَضرةً والوردِ أحمرَ بــهجةً والمِسكِ أذْفَرَ طِـــــــيبا

ويتحدث ابن هذيل عن مدينة الزاهرة ومبانيها والبساتين الرائعة التي فيها والنوريات التي تتخللها فهي قصور لو رآها كل قائم لخشع لجمالها أما نورها تراه من كل باب كأنه شعاع الشمس يقطع الأبواب، قال[2] :

قصور إذا قامـت تـــرى كـل قائم على الأرض يستخذى لها ثم يخشع

كأن خطيـبا مشرفا مـــن سموكها وشم الربى مـــن تحـتها تتسـمـــع

تــرى نـورهـا مـــن كل باب كأنما ســنا الشمـــس مـــن أبوابها يتقطع

ويقول **ابن عبد ربه** في ورد أهداه إلى ريحانة مثل الرياحين التي فيه خدودها حمراء مثل الورد له غرة رائحتها أذكى من نسيم الورد هل سليلة نعمة وأصل فهي كالأزهار كخدين عاشقين، قال[3] :

رياحين أهديها لريحانة المـــجد جنتها يد التخجيل من حمرة الخد

وورد به حييت غرة مـــــــاجد شمائله أذكى نسيماً من الـــــورد

ووشى ربيع مشرق اللون نـاضر يلوح عليه ثوب وشى من الحمـد

بعثت بها زهراء من فوق زهـــرة كتركيب معشوقين خدا على خـــد

في هذه المقطوعة يصف **ابن عبد ربه** الروض والحدائق في سرور كيف أنها تختال ضاحكة في وجود الربيع فزهر البنفسج يحكى عن حاله أما السوسن الناعم الجميل يحكى الذي هو كما الذهب الذي ينبت على الكافور.

أثقلت وقوت الزهريات والنوريات الصورة الشمية مثل قول ابن زيدون في ولادة[1]:

1- ابن زيدون، الديوان. ص 48.

2- ابن هذيل. شعره، ص 43.

3- ابن عبد ربه، الديوان، ص49.

ربيب مـــلك كـــأن الله أنـــشـأه مسكاً وقدر إنشاء الورى طـــــينا
أو صاغة ورقاً محضاً وتـــوجه من ناصع التبر إبداعاً وتـــحسيناً
ليسق عهدكم عهد السرور فما كنتم لأرواحنا إلا رياحـــــــــينا
كأنما أثبتت فى صحن وجـــنته زهر الكواكب تعويذاً وتزيـــــــينا
ما ضر أن لم نكن أكفاءه شرفاً وفى المودة كاف من تكافـــــــينا
يا روضة طالما أجنت لواحـظنا ورداً جلاه الصبا غضاً ونـــسرينـا
ويا حـــــياة تـــملينا بزهـرتها منى ضروباً ولذات أفانـــــــينا

فحين وصف الشاعر رائحة المحبوب بأنها أطيب من المسك وأحلى من الريحان فلك أن تتخيل كيف هي تلك الرائحة، الزكية العبقة بمعان الجمال والجلال كما نجد ذلك عند أبي **الأصبغ بن عبد العزيز**([2]):

عنبري اللون في الخلقة قد فاق طيبا كل مشموم وبذ
ذو جلابيب له قـــــلصها فأتت حلقا كآذان الـــجرذ
ولذا سموه إذ أشـــــبهها مردقوش باشتقـاق يوم إذ

-الصورة السمعية:

بالطبع كما نستدل على الصورة البصرية بالعين والشمية بالأنف فإننا نستدل على السمعية بالأذن حيث تعتبر حاسة السمع «بإمكانية عالية لحفظ التواصل المستمر بين الإنسان ومحيطه، وتبدو في النص من خلال ذكر الأفعال الدالة على التكلم والاستماع، مثل: (قلت، تكلمت، غنيت، استمعت، أصغيت....)، أو الألفاظ الدالة على ذكر صوت سواء أكان هادئاً أم صاخباً »([3]) .

1- ابن زيدون، الديوان، ص76.

2- ابن بسام، الذخيرة، مج1، ص 183.

3- شيماء عثمان محمد، الصورة الحسية في شعر فهد العسكر، ص75

ومن الصور السمعية قول يوسف بن هارون الرمادي[1]:

وَكَأسٍ كَريقِ الإلفِ شَعشَعتُها بِهِ وَعيشي مِن هَذا الشَّراب المُشَعشَعِ

عَلى رَوضَةٍ قامَت لَنا بـــدرانكٍ وَقامَ لَنا فيها الذُّبابُ بِمُـــــسمعِ

إِذا ما شَرِبنا كَأسَنا صُبَّ فَــضلُها عَلى رَوضِنا للمسمع المُـــتَخَلَّعِ

كَأَنَّ السَّحابَ الجَونَ أَعرسَ بِالثّرى فَلاحَ شَوارُ الأَرضِ في كُلِّ مَوضِعِ

فهنا تتضح معالم الصورة السمعية حيث جلسوا في روضة سمعوا وهم جلوس فيها صوت الذباب وهو صوت تسمعه بأذنك ثم يكمل نشرب فيها على مسمع من هذه الروضة، وقد لعبت الصورة السمعية هنا دوراً بارزاً في بيان المعنى وإيضاح الصورة.

ومن الصور السمعية قول الوزير أبو عامر بن مسلمة[2]:

يا **واحد الأدباء والشـــــعراء وابن الكرام السادة النـــجباء**

إني بعثت مطيباً نـــــــمقته من روض دارى دارك الغناء

من آسه لا زلت تأسوا عاطراً وتبيد ما يعدوا من الأعــداء

يحكى بطيب عرفه وبحــسنـه خلقاً خليقاً منك بالإطـــــراء

فالشاعر هنا يخبرنا عن فضل صديقه الذي يمدحه ويقول له لقد بعثت إليك مطيباً يحكى عن جمال وروعة منظره يحكى لك بمنظره الجميل عن روعته وجماله يكون عن طريق الأنف والشم، وهنا تلعب الصورة الشمية دوراً بارزاً في إبراز ملامحها.

من الصور السمعية أيضاً قول ابن دراج القسطلي[3]:

1- الحميرى، البديع ، ص 3. يوسف بن هارون الرمادي. شعره. ص 58.

2- الحميرى، مصدر نفسه، ص 131. فوزي سعد عيسى. شعراء أندلسيون منسيون. 199.

3- ابن دراج القسطلى. الديوان. المرجع السابق. ص32.

دُعيت فَاصْغ لِداعى الطرب وَطَابَ لَكَ الدهر فاشرب وطِبْ

وهَذَا بَشير الرَبيع الجَـــديد يُبَشِرنا أَنَّهُ قَدْ قـــــــــرب

بَهَار يَروق بِمسك ذكـــــى وصنع بَدِيع وَخَلق عـــــجب

فهنا يحدثنا الشاعر عن دعوة جاءت له والدعوة طبعاً جاءت له فسمعها ولبى هذه الدعوة باقتراب فصل الربيع الجميل وتباشيره الجميلة قد هلت وظهرت .

- الصورة الذوقية:

وهذه الصورة التي تبدو في النص «من خلال اشتقاقات الأفعال (شربت، حسوت، ترشفت، ... وغير ذلك»[1].

ومن الصور الذوقية قول الفقيه أبو الحسن بن على[2]:

أَلاَ فاسقنى رُوح النُفُوسِ وَأنـسـها ولين بِمَاء المزن فِى المَزْجِ مسهـا

وَشَعْشع لَنَا شَمس الشُمُول بِبَدْرِهَا وَأَجِر عَلَينا بالمسرة كَأْســـــــــها

فَأَنْتَ تَرى أَقْمار نَرجس رَوْضـــــنا خِلَافَ السمَاويات جاوزن شـمسها

مَحَاسِن لَو وَافَتْ أَخِى العلا بَاقـلاً بز سحبان البَرَايـــــا وَقســـــــها

فيعرض الفقيه أبو الحسن صورته حين شرب روح النفوس أي الخمر حيث كانت مثل الشمس المشعة فهو تلذذ بالخمر الطيب ثم أكمل باقي المقطوعة بجمال وجود نبات النرجس وينهى القطعة بالمديح.

ومن الصور الذوقية أيضاً قول أبو جعفر بن الآبار[3]:

لَا أيئس الإِس هَامِى السَكْب مِدْرَار فَهَوَ الوَفِى وَكل النُـورِ غَدَّار

تَكَاد تُثْمِر نَفْس الصَبِ مِن جـذْل إِذَا بَدَا ثَمرٌ مِنْه وَنـــــــوار

1- شيماء عثمان محمد، الصورة الحسية في شعر فهد العسكر، ص 77.

2- الحميرى، البديع، ص 104.

3- أبو جعفر بن الآبار، الديوان، مصدر سابق، ص 96.

كَأَنَما أَلْبسته المُزن خضر حــلى لَهَا مِنْ المِسْكِ وَالكَافُور أزرار

فهو هنا يحدثنا عن جمال نبات الآس وكيف أنه هو أوفى الأوفياء وكل نوع نبات غيره غدار تمتلئ نفسك بالروعة منه كأنما أُلبس جمالاً وحلى أزرارها من المسك والكافور.

من الصور الذوقية أيضاً قول أبو على إدريس بن اليمانى[1]:

أمير النور يأمرنى بـــشرب ولست أطيق عصيان الأميرِ

فخذ كأس السرور فسقنيها على ود الأمير على السريرِ

نجوم من لجين تـــــجتليها سماء زبرجد خضل نضـــيرِ

فهنا يخبرنا الشاعر عن روعة الشرب المحتوم في جمال وجود زهر الياسمين الجميل وأنه شرب على شرف هذا النبات الرائع.

1- الحميرى. البديع. مصدر نفسه. ص 97.

خـــاتمة

إن موضوع الزهريات والنوريات، ظاهرة شعرية تنم عن حس مرهف، وحسن توظيف للطبيعة، في إثراء المعاني والصور. وتبين من خلال هذا أن الأندلسيين، وإن لم يسبقوا غيرهم من المشارقة في هذا اللون الشعري، إلا أنهم تفننوا فيه وبرعوا، حتى تفوقوا في الإكثار منه، وهو أمر محمود على كل حال ومن خلال هذه التميز نخلص إلى النتائج التالية:

– تعد النوريات والزهريات مظهرا لهذا الافتتان، وغرضا شعريا ذاع في بلاد الأندلس، حتى لا يكاد يخلو منه ديوان من دواوين الشعراء الأندلسيين.

–تنوع وصف الزهور بين الشعراء ففاضلوا بينها وقسموها إلى ما يخدم الغرض الذي يخدم متطلبات قصائدهم الشعرية

– هناك شعراء مثل ابن عبد ربه الذي كان هو أكثر الشعراء وصفاً للرياض والزهور وتلاه مباشرة يحيى بن هذيل حيث تفردوا بكثرة استخدامهم لمصطلحات شعر الزهريات والنوريات

– حاول شعراء الأندلس التشبه بشعراء المشارقة في الوصف ولكن النتيجة أنهم أضافوا إضافات جديدة مثل استخدام زهرة واحدة عند التشبيه

– على اختلاف طبقات الشعراء واختلاف ثقافاتهم إلا أنهم استخدموا الزهريات والنوريات لخدمة أشعارهم

– لم يقتصر شعر الزهريات والنوريات على غرض الوصف فقط بل تعداه إلى المدح والفخر والغزل وغيره من الأغراض.

– أدت زيادة الوصف فى الزهريات والنوريات إلى توسع الشعراء فى الأزهار وزيادة علم الناس بها وإيصال هذا العلم الخاص بالمسميات والأزهار عن طريق أبياتهم الشعرية مما أدى إلى ثقافة الناس وزيادة معرفتهم بأنواع الأزهار المختلفة.

– أسهمت النوريات الزهريات في تشييد المعنى وتغذيته وتقوّيته عن طريق إيصال الصورة البصريةً فحينما شبه خد المحبوب بالورد، فإنه يسقط في أذهاننا مباشرة حمرة الورد والتي تزيد المعنى انسيابا ورقة وعذوبة إذا احيلت إلى خد المحبوب.

– واكبت الأزهار كملح أسلوبي الشعراء الأندلسيين في كل المحطات والمواقف فعبر بها في أوج راحته وسعادته وأوج إزدهاره بلاده، كما عبر بها عن نكساته ومخاوفه وهواجسه النفسية لتعد مظهرا من مظاهر التميز الاندلسي وموضوع جدير بالدراسة.

– أنضجت وجلت الزهريات والنوريات الصورة الشمية فحين يصف الشاعر رائحة المحبوب بأنها أطيب من المسك وأحلى من الريحان فلك أن تتخيل كيف هي تلك الرائحة، الزكية العبقة بمعان الجمال والجلال.

– تميزت أشعار الزهريات عند الأندلسيين بذكر أنواع مختلفة منها النرجس والياسمين والنيلوفر، والأقحوان والأقاح والخيري، والشقائق، والنسرين والبنفسج، والبهار؛ ولعبها ولعا شديدا مما جعله يدعو إلى المقدمة الزهرية بدلا لمقدمة الطللية، لما في الزهور من حياة للنفوس، فكانت بذلك نقطة تحول.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولا: المصادر:

أ- أحمد بن فرج الجياني الأندلسي: الحدائق والجنان من أشعار أهل الأندلس وديوان بني فرج شعراء جيان، تح: محمد رضوان الداية، أبو ضبي، الإمارات، طبعة 2003

إ- الإدريسي، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، إعداد وتعليق عبد القادر محداد، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1980.

ت- أبو تمام الديوان، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه راجى الأسمر ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ط2، 1994.

ح- ابن حزم الأندلسي، الديوان، تح: صبحي رشاد عبد الكريم، دار الصحابة للثرات، طنطا، مصر، ط1، 1991.

ح- ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة، في الألفة والألاف، تح: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، مصر، ط5، 1994.

ح- ابن حمديس الصقلي، الديوان، تصحيح وتقديم: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، دت.

تكرار- ابن حمديس الصقلي، الديوان، تصحيح وتقديم: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1.

خ- ابن خفاجة، الديوان، تح: السيد مصطفى غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط1، .

د- ابن دراج القسطلى، الديوان ، تحقيق د محمود على مكى، المكتب الإسلامى، دمشق ، ط2 ، 1989.

ش - ابن شهيد الأندلسي، الديوان، محي الدين ديب، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

ش- ابن شهيد الأندلسي ديوانه وورسائله، جمع وتحقيق وشرح محي الدين ديب. المكتبة العصرية. بيروت. لبنان. ط1. 1997.

ز- ابن زيدون، الديوان، ابن زيدون، الديوان، تح: يوسف فرحان، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1994.

ع- ابن عبد ربه، ديوان، جمعه وحققه محمد رضوان الداية ، مؤسسة رسالة ، بيروت، 1979، ط 1.

ل- ابن للبانة الداني الديوان، تح: محمد مجيد السعيد، دار الراية، عمان، الأردن، ط2، 2008.

م- المعتمد بن عباد، الديوان، تح حامد عبد المجيد ، أحمد أحمد بدوى ، راجعه طه حسين، دار الكتب والوثائق القومية، القسم الأدبى ، ط3، 2000

ك- كشاجم، الديوان، دراسة وشرح وتحقيق، النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1999.

ش- ابن شرف القيرواني، الديوان، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ط1، 1983.

- ابن صنوبري، الديوان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1970 .

هـ- ابن هانئ الأندلسي، تح: كرم البستاني، دار بيروت، لبنان، ط1، 1980.

ثانيا: المـراجع

أ- أحمد بن محمد بن فرج الجياني الاندلسي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المحقق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 .

إ- إبراهيم أمين الزرزمونى ، الصورة الفنية فى شعر على الجارم ، دار قباء للطباعة ، القاهرة ، ط1، 2000.

إ- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، الطبعة السابعة، 1985.

أ- أرسلان، الأمير شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والأثر الأندلسية، دار الحياة، بيروت، 1355هـ.

إ- ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، دار نهضة مصر، القاهرة.

إ- إيليا الحاوى، فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1980.

ب- بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، دار المنارة للنشر، جدة، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، 1997م.

ب- بروين حبيب، تقنيات التعبير في شعر نزار قباني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط1، 1998.

س- بن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1، تح: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – القاهرة، مصر، ط3، 1955. مصدر

س- ابن سيدة: المخصص مادة (و.ق.ع)، ج1، دار الكتب العليمة، بيروت، لبنان، ط1، دت.

ب- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، دار الكتاب المصري، القاهرة مصر، ط1، 1989،

ب- بوداب نور الإيمان، المكان في الشعر الأندلسي" ابن حمديس أنموذجاً "، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، كلية الآداب واللغات، 2015. ما نوعه؟

ت- التنوخى، القوافى، تحقيق : عونى عبد الرؤوف ، مكتبة الخانجى ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1978.

ج- الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، المجمع العلمى العربى الإسلامى ، بيروت ،ط3، 1969.

ج- جبور عبد المنعم ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1، 1979. - ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1985.

ج – الجزيري الأندلسي، أبو مروان عبد الملك. شعره. جمع وتحقيق أحمد عبد القادر صلاحية. دار المكتبي. سورية. ط 1. 1997

ب- ابن بسام الشنتريني الحسن علي ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج4، تح: إحسان عباس الناشر: الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس. ط 1. 1979.

ح- حسنى عبد الجليل يوسف، موسيقى الشعر العربي (دراسة فنية وموضوعية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989.

ي – يحيى بن هذيل الأندلسي. شعره. جمع وتحقيق ودراسة. محمد علي الشوابكة. منشورات جامعة موتة. الأردن. ط 1. 1996.

ي- يحيى بن هذيل الأندلسي. ما وصل إلينا من شعره. جمع وتقديم حمدي منصور، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق سوريا، المجلد 77، الجزء 3. 2002

ح- الحميرى الإشبيلى، أبى الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب، البديع في وصف الربيع، حققه وكتب الدراسة وعلق عليه : د عبد الله عبد الرحيم عسيلان، دار المدنى، جدة ، ط1، 1987.

ح- أبو حيان التوحيدي: المقابسات، تح: توفيق حسين، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط2، 1989.

خ-خالد محمد الزواوي، الصورة الفنية عند النابغة الذبياني، الشركة المصرية العالمية، ط1، 1992.

خ- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، دار صادر، بيروت، لبنان، طبعة 2007.

خ- الخصال، الديوان، تح: محمود عبد الحليم السمطي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1438هـ.

خ- الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، تح: الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1994.

خ- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2003

خ- خليل إبراهيم السامرائي، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مصلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت، لبنان، ط1، 2000.

خ- خميس الورتاني: الإيقاع في الشعر العربي الحديث (خليل الحاوي نموذجا)، دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ج1، ط1، 2005.

خ- الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تح: نهى النجار، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

د- الدمياطي، محمود مصطفى، معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، 1965.

ر- الراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، دار المعرفة ، بيروت، ط1، 1999.

ر- ابن رشيق القيروانى، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محى الدين، دار الجبل، سوريا، ط5، 1981.

– الرَصافي البَلَنسي، الديوان، تح: إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

ج– جودت الركابى، الطبيعة في الشعر الأندلسي، مطبعة الشرقي، دمشق، ط2، 1970.

ر– ابن الرومي، عَليّ بن العَبَّاس، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003 م.

س– ساسين عساف، الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1982م، بيروت.

س– سامي يوسف أبو زيد، الأدب الأندلسي، دار النشر المسيرة، عمان، ط1، 2012.

س– ابن سينا: جوامع علم الموسيقى، نقلا عن ألفت الروبي: نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، دار التنوير ، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

م– مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط9، 1997.

س– سعد إسماعيل شلبي، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، دار نهضة مصر، القاهرة.

ش – ابن ابن شرف القيرواني. شعره. جمع وتقديم ودراسة أشرف محمود نجا. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. الإسكندرية. ط1. 2008.

– ابن شهيد الأندلسي، رسائله، جمع وتحقيق وشرح: محي الدين الديب، المكتبة العصرية ، بيروت، 1997، ط1.تكرر التعريف به

ش- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، مصر، ط2، (د،ت).

- صفاء خلوصي: فن التقطيع الشعري والقافية، دار الشئون الثقافية، بغداد، العراق، ط6، 1987.

ط- ابن طباطبا: عيار الشعر، تح: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، القاهرة، مصر، طبعة 1984.

ع- عبد الرحمان تبرماسين: البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2003.

م- محمد عبد الرحيم، موسوعة الأعشاب والنباتات الطبية، دار الراتب الجامعية، ط1، 2001.

ع- عبد الرضا على، موسيقى الشعر قديمه وحديثه دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والشعر الحر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 1997.

ع- عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

ع- عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الآثار الإسلامية، الكويت، ط3، 1989.

ع- ابن عذارى المراكسي، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ار الثقافة، بيروت، لبنان، ج3، 1983 ط1.

ع- علي الغريب، الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003.

ع- علي الغريب محمد الشناوي. شعر يحي بن حكم الغزال. مكتبة الآداب . القاهرة. ط 1. 2004،

س- بن سعيد المغربي: رايات المبرزين وغايات المميزين، تح: محمد رضوان الداية، ج2، دار طلاس، دمشق، سوريا، ط1، 1978

ع- على عشرى زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، 1997.

ع- عمران الكبيسى ، لغة الشعر العراقي المعاصر، وكالة المطبوعات، الكويت 1982، ط1.

ع- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي .الجزء الرابع: الأدب في المغرب والأندلس، إلى آخر عصر ملوك الطوائف بيروت، لبنان: دار العلم للملايين، ط3، 1985.

ع- العناني زهر، الإنسان والطبيعة في شعرية ابن خفاجة والرومانسيين الفرنسيين، دار المتنبي للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2002 .

ط- طاهر غالب ، الروضيات في الشعر الأندلسي في القرنين الرابع والخامس الهجريين، دار البازورى العلمية للنشر والتوزيع.

ف- ابن فرج الجياني، الحدائق والجنان من أشعار أهل الأندلس وديوان بني فرج شعراء جيان، تح محمد رضوان الداية، نادي تراث الإمارات، أبو ظبي ، دت.

ف- فؤاد أفرام البستانى ، الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة في علوم الطبيعة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان 1965.

ف- فورار امحمد بن لخضر. الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية. دار الهدى للطباعة والنشر. عين امليلة . الجزائر. 2009،

ف - فورار امحمد بن لخضر. من شعراء الأندلس ومختارات من شعرهم. مطبعة جامعة محمد خيضر. بسكرة الجزائر، ط 1. 2013.

– فوزي سعد عيسى، شعراء أندلسيون منسيون، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية ، مصر، ط10، 2009.

ف–فوزي عيسى، الأدب الأندلسي، دار الوفاء الإسكندرية، مصر، ط1، 2007.

– الجرجاني، القاضي، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1966م. اذكر اسمه

ق– قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق : عبد المنعم خفاجى ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2، 1997.

ك– كاميليا عبد الفتاح، القصيدة العربية المعاصرة، دار المطبوعات الجامعية، إسكندرية، 2006.

ك– ابن الكتاني الطبيب، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

ك– كعكى سامر عبد الغنى، موسوعة المصطلحات العلمية الشاملة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

م– المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1993م.

م– محمد النويهى، قضية الشعر الجديدة ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، 1964

م– محمد بن علي الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق: عبدالقادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة، 1997م.

م– محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية (حساسية الانبثاقة الشعرية الأولى جيل الرواد والستينات)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2001.

م- محمد عبدالمنعم محمد قباجة، الغربة والحنين إلى الديار في شعر العصر العباسي الثاني ، رسالة ماجستير ، إشراف عبد المنعم حافظ، جامعة الخليل ، فلسطين ، 2008

م-محمد غنيمى هلال، النقد الأدبي الحديث ، دار نهضة مصر، القاهرة، ط5، 2005.

م-محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعرى (إستراتيجية التناص)، المركز الثقافى العربى ، الدار البيضاء، المغرب ، الطبعة الثالثة ، 1992.

- بن عذارى أبو عبد الله المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الثالث. تح: ج س كولان، ليفي بروفنسال، مطبعة دار الثقافة. بيروت. ط 4. 1983.

ث- ثامر إبراهيم المصاروة، الطبيعة في الشعر الأندلسي، مدونة إيلاف، 2009.

م- مقداد رحيم، النوريات في الشعر الأندلسي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1986.

م- المقري التلمساني، نفحة الطيب من غصن الأندلس الرطيب. ج1. تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، 1968.

م- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، وأحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر.

ن- نوفل يوسف حسن، الصورة الشعرية والرمز اللوني، دار المعارف- مصر، د.ت.

هـ- هنري بيرس، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ترجمة طاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1988.

المعاجم:

س- ابن سيدة، المحكم والمحيط الاعظم، ج4، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

الأطروحات والرسائل الجامعية:

ع- أبو عودة، نادية صالح راشد، وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي في عصر الخلافة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1995.

ع- عباسي، عبد الحميد، وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي، إشراف : محمد رضوان الداية ، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 1986.

ع- عبد القادر على زروقى ، أساليب التكرار في ديوان (سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا) لمحمود درويش ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات ، جامعة الحاج لخضر ، الجزائر ، 2012.

ع- عزيز، وفاء، صور الزهريات في شعر الصنوبري ، دراسة أسلوبية، جامعة الحاج لخضر، قسم اللغة العربية وآدابها، 2010.

م- محمد عبد المنعم محمد قباجه، الغربة والحنين إلى الديار في شعر العصر العباسي الثاني، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، فلسطين، 2008.

المجلات والدوريات:

ح- الحاجب المصحفي الأندلسي. ما تبقى من شعره. جمع وتقييم امحمد بن لخضر فورار. مجلة جذور. النادي الثقافي. جدة. عدد 35. نوفمبر 2013.

ش- شلبى، عمار عبد القادر محمد، الزهريات والنوريات في الأدب الأندلسي : دراسة وصفية، المجلد 9، ع 30 (30 سبتمبر/أيلول 2018)، أمارباك .

ش- شيماء عثمان محمد ، الصورة الحسية فى شعر فهد العسكر ، مجلة أبحاث البصرة، مج 36، ع1، 2011 .

ف- فورار أمحمد بن لخضر، سمات نثر الشاعر أبي مروان الجزيري الأندلسي، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد السادس، 2007.

م- محمد يعلاوي. شعر الطبيعة في الأدب العربي القديم، حوليات الجامعة التونسية، جامعة منوبة- كلية الآداب والفنون والإنسانيات، ع 23، 1984م.

ح- حمدى محمود منصور، مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد/العدد، مج 77، ج 3، سوريا، 2002.

فـــهرس

المـــــحتويات

إهداء	
تشكرات	
مقدمة	أ - و
مـدخل: النّوريات والزّهريات المفهوم والنشأة	08-23
أولا– مفهوم النّوريات الزهريات.....	08
1–لــغة	08
2–اصطلاحا	09
–أنواع النواوير مفهومها ودلالاتها	11
ثانيا: وصف النّوريات والزّهريات في الشعر القديم وفي المشرق	13
ثالثا: وصف النوريات والزهريات في العصر العباسي	15
رابعا: تأثر شعراء الأندلس بالشعراء العباسيين	18
خامسا: خصوصية التجربة الشعرية للنَّوريات والزّهريات في الشعر الأندلسي ..	19
الفصل الأول: الخصائص الموضوعية والفنية لشعر النَّوريات والزَّهريات	25-63
أولا: موضوعات النّوريات والزّهريات في الشعر الأندلسي الأندلسي في القرنين الرابع والخامس للهجرة	25
1–الغزل	25
2–الوصف	27
3–وصف الخمر	31
4–وصف الرياض والحدائق	32
5–وصف المرأة	35
6–المديح	37
7–الرثاء	44
ثانيا: أهم شعراء النوريات والزهريات في الشعر الأندلسي في القرنين الرابع	45

والخامس للهجرة	
1- أهم شعراء هذا اللون الشعري في القرن الرابع الهجري (عصر الخلافة) ...	45
2-أهم شعراء النوريات والزهريات الذين أدركوا القرن الخامس الهجري	55
ثالثا: تراسل الحواس في شعر النّوريات والزّهريات في الشعر الأندلسي	60
1- تعريف الحس في اللغة والاصطلاح	60
-الحس لغة	60
-الحس اصطلاحا	60
رابعا: خصائص شعر النوريات والزهريات في الأندلس	62
الفصل الثاني: القيم الإيحائية والدلالية في شعر النّوريات والزّهريات في القرنين الرابع والخامس للهجرة.....	91-65
أولا: دلالة النّوريات ولزّهريات على بديع صنع الله	67
ثانيا- دلالة النوريات على الحب	70
ثالثا: دلالة النوريات على الجمال	72
- دلالتها على جمال المرأة	74
- دلالتها على جمال العمران والقصور.....	76
رابعا- دلالة النوريات على التشتت والخوف والقلق	91
الفصل الثالث: القيم الفنية والجمالية لشعر النّوريات والزّهريات الأندلسي	162-93
أولا: مفهوم الإيقاع	93
1- الإيقاع لـــــغة	93
2- الإيقاع اصطلاحا.....	94
- الإيقاع في التراث النقدي	94
-الإيقاع عند العرب المحدثين	95
- فاعلية الإيقاع في بناء المعاني الشعرية في شعر النوريات والزهريات	97

الأندلسي	
ثانيا: الوزن	97
ثالثا: القافية	101
– التكرار	108
تكرار الحرف	109
– تكرار صوت الراء	110
– تكرار الكلمة	111
– التصريع	115
– الطباق والمقابلة	117
– حسن التقسيم	118
رابعا–اللـغة	119
–المعجم الشعري	122
خامسا: الصورة الشعرية	125
– مصادر الصورة عند شعراء النوريات والزهريات	127
– الطبيعة	127
– العقيدة	134
–القرآن الكريم	135
– الموروث الثقافي	136
–الموروث الأدبي.....	136
– أنماط الصورة.....	138
–الصورة البلاغية	139
– الصور التشبيهية	139
–الصور الاستعارية	145

– الصور الكنائية	148
– الصورة اللمسية الحسية	153
–الصورة البصرية	154
– الصورة الشمية	156
–الصورة السمعية	160
– الصورة الذوقية	161
خاتمة	162
قائمة المصادر والمراجع	165
فهرس المحتويات	

الملخص:

تسعى هذه الدراسة الى الكشف عن شعر النوريات والزهريات كونه يحتل مكانة متميزة في الأدب الأندلسي وتعتبر من المواضيع التي تستهوي الشاعر الأندلسي ويبرع في وصفها باعتبارها عنصرا جماليا وظاهرة أسلوبية تستحق الدراسة والاهتمام خاصة وأن عصر الخلافة وملوك الطوائف في القرن الرابع والخامس للهجرة ازدهرت فيهما الحركة الشعرية والتأليفية ويعتبران أرضية خصبة للبحث والدراسة فيما تعلق بشعر النوريات والزهريات والذي دابنا على البحث عن خصائصه الفنية والموضوعية.

Resumé :

Cette étude vise à révéler la poésie d'Al-Nouriyat et d'Al-Zahriat, car elle occupe une place éminente dans la littérature andalouse et est considérée comme l'un des sujets qui plaisent au poète andalou et excelle à la décrire comme un élément esthétique et stylistique. phénomène qui mérite étude et attention, d'autant plus que l'ère du Califat et des rois des sectes des quatrième et cinquième siècles de migration s'est épanouie au cours de laquelle s'est épanoui le mouvement poétique et compositionnel.Et ils sont considérés comme un terrain fertile pour la recherche et l'étude concernant la poésie d'Al-Nouriyat et d'Al-Zahriat, que nous avons recherchée pour ses caractéristiques techniques et objectives.

Abstra :

This study seeks to reveal the poetry of light and vases, as it occupies a distinguished position in Andalusian literature and is considered one of the subjects that appeal to the Andalusian poet and excels in describing it as an aesthetic element and a stylistic phenomenon that deserves study and attention, especially since the era of the caliphate and the kings of sects in the fourth and fifth century of migration has flourished in which the poetic and composing movement flourished They are considered a fertile ground for research and study, as it relates to the hair of the light and vases, which we have searched for its artistic and objective characteristics